معالم الوحدة

في طريق الأمة الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



مَعَالم الوحدة

فِي طَرِيقِ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ

تأليف

دكتور عمر يوسف حمزه

دكتور أحمد عبد الرحيم السايح

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذى أنزل القرآن الكريم هدى للناس وشفاء لما فى الصدور .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله المرسل رحمة وهداية للناس أجمعين .

وبعد :

فإن الأمة الإسلامية – وهى تخطو على مجد الأسلاف –. لابد وأن تتعرف على العلامات المضيئة فى طريق الإصلاح ، والوحدة الإسلامية ..

ولا يخفى أن الأمة الإسلامية ، التى أكرمها الله – سبحانه وتعالى – بالوحدة تعانى من التمزق ، وتتوجع من التفرق الذى أصاب مجتمعاتها ؛ لأن الأصل فى الأمة الإسلامية أن تكون أمة واحدة : فى العقيدة ، وفى العبادات ، وفى الأخلاق ، وفى الفكر ، وفى المبادئ ..

وعلماء التفسير ذكروا فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ : أن أخوة الدين أقوى من أخوة النسب ؛ لأن أخوة النسب تنقطع بانقطاع الدين ، أما أخوة الدين فلا تنقطع بانقطاع النسب ..

ولقد مرت على الأمة الإسلامية فترات ضعف وركود ، وفترات غزو فكرى وعملى ، أصابت الأمة الإسلامية بمفاهيم بعيدة عن الإسلام ، فجعلت الوحدة الإسلامية ، والأخوة الدينية . شعارًا يقال فى المناسبات دون تحقيق عملى . ويوم أن كان المسلمون يطبقون مبادئ الأخوة الدينية ، والوحدة الإسلامية ، كان لهم شأنهم واعتبارهم ...

وإذا كانت بعض الشعوب تسعى لأن تلتقى فى وحدة اقتصادية ، وسياسية ، وفكرية ؛ لتتمكن من مواجهة تيارات التغيير ، فإن الشعوب الإسلامية ، ومجتمعات الأمة الإسلامية أولى الشعوب باللقاء الفكرى والاقتصادى والسياسى ؛ لأن هذه المجتمعات تملك رصيدًا ضخما من الأسس والقواعد يمكن استثماره فى عودة المسلمين إلى الوحدة الإسلامية .

ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فيما قام به من إخاء عملى بين المهاجرين والأنصار ، فكانت أخوة المسلمين بهذا التطبيق تقود إلى أسمى ما يراد لأمة فى الحياة .

وما أجدر أبناء الأمة الحريصين على الوصول بها إلى مراق الفلاح أن يضاعفوا الجهود التى تساعد على تطهير المجتمعات الإسلامية من دعاوى القومية ، والإقليمية ، والعنصرية ، والجنسية ، وما جرى مجرى هذا من كل ما من شأنه أن يزيد من تفرق المسلمين ، وابتعادهم عن الإسلام ..

إن الأمة الإسلامية لابد وأن تعود مجتمعاتها إلى الإسلام لتحقق به مبتغاها من اجتماع الكلمة ، ووحدة الهدف ، حتى تتمكن من مواجهة التحديات التى تواجهها ، وتتصدى للأخطار المحدقة بها من كل جانب ..

وكتاب « معالم الوحدة فى طريق الأمة الإسلامية » ينبه المسلمين إلى الأصول التى قامت وتقوم عليها وحدة الأمة ، كما يكشف عن الأخطار التى أصابت المجتمعات الإسلامية من جراء التفرق .

وإن أمة كتابها القرآن الكريم ، وتعيش صحوة إسلامية ، لابد وأن تعمل على جمع الشمل ، ووحدة الصف .

والله ولى التوفيق

دكتور/ عمر يوسف حمزة — دكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح

القسم الأول

الوحدة الإسلامية

بين النظرية والتطبيق

بقلم الدكتور / عمر يوسف حمزة
جامعة أم درمان الإسلامية
وجامعة قطر - كلية الشريعة



مقدمة :

الحمد لله الذي أحسن كل شئ خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتناصروا ، وبطونا وفصائل ليتآلفوا ويتظاهروا ..

والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، ومن بعثه الله رحمة للعالمين ..

وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

وبعد :

فإن الإسلام بطبيعته يجعل من المسلمين كتلة واحدة ، ويخلق بينهم تضامنا ، فهو يجمعهم على عقيدة واحدة ، وعبادة واحدة ، وشريعة واحدة ، وقبلة واحدة ، وغاية واحدة .

وأي صدع في هذه الوحدة ، وأي هزة في هذا الكيان يعتبر جريمة ما بعدها جريمة .

إن الفرقة هى القاضية على الدين والدنيا معا .

قال تعالى : ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [1] .

وذهاب الريح : هو ذهاب القوة القاضى بالضعف والإذلال ، ثم الفناء والزوال .

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .

إن الإسلام أعلن براءته من المفرقين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [(١)] .

ويقول جل شأنه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [(٢)] .

وحبل الله هو القرآن ، كما ورد في الحديث الصحيح عن ابن مسعود ، ولفظه : « إن الصراط محتضر تحضره الشياطين ، ينادون : ياعبد الله ، هلم هذا الطريق ؛ ليصدوا عن سبيل الله ، فاعتصموا بحبل الله ، فإن حبل الله هو كتاب الله » [(٣)] وهذا التفسير أولى من غيره ، لأن من اعتصم بكتاب الله كان آخذا بالإسلام .

ولا يظهر تفسير حبل الله بالجماعة والاجتماع ، وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام ، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه ، عليه نجتمع ، وبه نتحد ، لابجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بسياسات نخترعها ، ثم نهانا عن التفرق والانفصام بعد هذا الاجتماع والاعتصام ، لما في التفرق من زوال الوحدة ، التي هى معقد العزة والقوة ، وبالعزة يعتز الحق ، فيعلو في العالمين . وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين وكيد الكائدين ، فهذا الأمر والنهي في معنى الأمر والنهي في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٥٩ .
(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .
(٣) رواه الطبراني وإسناده صحيح : انظر زاد المسير في علم التفسير ج ١ ص ٤٣٢ .
(٤) سورة الأنعام ، آية ١٥٣ .

وفي حديث النواس بن سمعان الذي رواه الترمذي وغيره : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبتي الصراط سوران ، وفي السورين أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، قال : فالصراط المستقيم هو الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، والداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن » وهذا الحديث صحيح [١] .

فحبل الله هو صراطه وسبيله ، وما أشرت إليه هنا من بيان أنواع التفرق هو السبل التي نهى الله عن اتباعها في تلك الآية .

فكأن الله – تعالى – يقول : ولا تتفرقوا باتباع السبل غير سبيل الله الذي هو كتابه . فمن تلك السبل المفرقة : إحداث المذاهب والشيع في الدين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [٢] .

ومنها عصبية الجنسية الجاهلية ، وهى التي نزلت الآية التي تفسرها ومامعها فيها لما كانت بين الأوس والخزرج من حروب طويلة قضى عليها الإسلام [٣] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٨٢ والترمذي ج ٤ ص ٣٥ والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٧٣ ، وجاء في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٧٨٢ وانظر « بحوث في أصول التفسير » د. محمد لطفي الصباغ ص ١٠٣ ، المكتب الإسلامي ط ١٠ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٥٩ .

(٣) انظر : حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ٢٢٣ ، والسيرة النبوية ص ٢٢٣ ، للسيد أبي الحسن الندوي ، طبعة دار إحياء التراث بقطر .

وقد ورد النهي عن عصبية الجاهلية في كثير من الأحاديث منها الصحيح والحسن كقوله ﷺ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرىء مسلم بغير حق ليهريق دمه » [١] رواه البخاري من حديث ابن عباس وقوله ﷺ : « **ليس منا من دعا إلى عصبية** » [٢] .

وقد اعتصم في هذا العصر أهل أوربا بالعصبية الجنسية ، كما كانت العرب في الجاهلية ، فسرى سم ذلك إلى كثير من المسلمين المتأثرين بالأوربيين ، فحاول بعضهم أن يجعلوا في المسلمين جنسيات وطنية لتعذر الجنسية النسبية . ويوجد في بعض البلاد الإسلامية من يدعو إلى هذه العصبية الجاهلية – وهي دعوة فاسدة مناهضة للإسلام [٣] وهى من مقدمات الخراب والدمار ، لا من وسائل التقدم والعمران ، فالإسلام يأمر باتحاد واتفاق كل قوم تضمهم أرض وتحكمهم الشريعة على الخير والمصلحة فيها ، وإن اختلفت أديانهم وأجناسهم . ويأمر مع ذلك باتفاق أوسع ، وهو الاعتصام بحبل الله بين جميع الأقوام والأجناس لتتحقق بذلك الأخوة في الله ، ولذلك قال بعد الأمر بالاعتصام والاجتماع والنهي عن التفرق : ﴿ وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰنًا ﴾ [٤] يشير إلى ماكان عليه المؤمنون في عصر التنزيل من أخوة الإيمان التي بها قاسم الأنصار المهاجرين أموالهم

---

(١) انظر صحيح البخاري ، بشرحه فتح الباري ج ١٢ ص ٢١٠ – ٢١١ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة السلفية .

(٢) رواه أبو داود من حديث جبير بن مطعم ، وانظر تفسير المنار ج ٤ ص ٢١ .

(٣) انظر المنار ج ٦ ص ١٠ ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة ثانية أعيدت بالأوفست .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

وديارهم ، وبها كانوا يؤثر بعضهم بعضا بالشيء على نفسه ، وهو في خصاصة وحاجة شديدة إلى ذلك الشيء ، بعد ماكان بينهم في الجاهلية من العداوة والبغضاء وتسافك الدماء ، ماهو معروف في جملته لعامة المسلمين ، وفي تفاصيله الغريبة للمطلعين على أخبارهم المروية والمدونة .

ومنها أن الحروب تطاولت بين الأوس والخزرج مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الإسلام ، وألف الله بين قلوبهم برسوله - ﷺ .

فهذا بعض من أفادهم الإسلام في حياتهم الدنيا ، وقد أنقذهم فيما يستقبلون من أمر الآخرة مما هو شر ، وأدهى وأمر ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [1] .

وإنني سأتناول في هذا البحث الوحدة الإسلامية بين النظرية والتطبيق من خلال النقاط التالية :

(١) بسقوط الخلافة انفرط عقد الأمة الإسلامية ، ومنذ ذلك اليوم لم يلتئم شملها بصورة عملية تجعل منها قوة فاعلة في عالمنا المعاصر .

(٢) سقوط الخلافة الإسلامية كان مخططا له من قبل أعداء الإسلام .

(٣) العوامل الذاتية التي رسخت ظاهرة الانفصال والفرقة بين شعوب العالم الإسلامي .

(٤) الأمة الإسلامية لها القدرة على إقامة وحدة إسلامية تؤلف بين أبنائها في ظل الأوضاع الدولية المتغيرة .

(٥) مقومات الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٦) الخطوات العملية لتحقيق هذه الوحدة المنشودة .

والله أسأل أن يوفقني لإبراز هذا الموضوع الهام الذي شغل بال كثير من أهل العلم والمخلصين من أبناء المسلمين في شتى بقاعهم ، والله الهادي إلى أقوم السبل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *



أولا : نشأة الخلافة وتطورها :

لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، فلم يصدق العرب أنه مات [١] ، ونسوا أنه رسول قدخلت من قبله الرسل ، وغابت عنهم — من هول المفاجأة — آيات تعلمهم أن الله لم يكتب الخلد لأحد من البشر ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ [٢] وأن ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٣] .

وكان طبيعيا أن يطمع في الخلافة كثيرون ، وأن تحاول كل جماعة ترشيح رئيسها ليتولى أمر المسلمين ، فكانت الأنصار تميل بالخلافة إلى سيد الخزرج : سعد بن عبادة [٤] ، لكن الأمر لم يتعد الترشيح ، إذ لم يكن سعد هذا قادرا على ضم صفوف الأوس والخزرج ، فأضعف القوم خلافهم ، ولم يتم لهم ما أرادوا [٥] ، واعتقد بنو هاشم أن الخلافة ينبغي أن تكون فيهم ، ورأوا علي بن أبي طالب أحق الصحابة بها ، لأنه ربيب النبي وابن عمه وزوج ابنته فاطمة [٦] ، ومن أول الناس إسلاما ، وأوسعهم علما [٧] .

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٩ ، طبعة المطبعة الأزهرية ١٣٠١ هـ وطبعة النجار ١٣٤٨ هـ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٣٤ .

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) سيرة ابن هشام ١٠١٥/٢ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية وطبعة الحلبي ١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ م .

(٥) زد على هذا أن سعد بن معاذ ، سيد الأوس ، كان قد توفي قبل وفاة النبي ﷺ ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٦٧٤ .

(٦) قارن فرق الشيعة « للنوبختي » ص ٢ بالمعارف (لابن قتيبة) ص ٧٠ .

(٧) الكامل ج ٢ ص ٣٧ .

والمهاجرون الذين تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا من مكة إلى المدينة كانوا يريدون الخلافة فيهم [(١)] ، ويظهرون ميلهم بها إلى أبي بكر الصديق [(٢)] ، فهو أول السابقين إلى الإسلام من الرجال [(٣)] وصاحب النبي في الغار بشهادة القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [(٤)] ووالد زوجته المحببة إلى نفسه عائشة – رضي الله عنها – [(٥)] ورفيق النبي ﷺ في مواقف دعوته إلى الله تعالى . وانطفأت الفتنة حينما سمع الصحابة حديثا يرويه أبو بكر عن النبي ﷺ يقول فيه : « **الأئمة من قريش** » [(٦)] وقد فسره ابن خلدون بأنه ﷺ راعى ماكان لقريش في عصره من القوة والعصبية التي يرى ابن خلدون أن عليها تقوم الخلافة أو الملك ، ولهذا قال بعض أهل العلم : يشترط في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم ، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية [(٧)] .

---

(١) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٩٧ القاهرة سنة ١٩٢٨ م وطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١ م .

(٢) فرق الشيعة « للنوبختي » ص ٣ ، صححه محمد صادق ، النجف سنة ١٣٣٥ هـ .

(٣) الكامل (لابن الأثير) ج ٢ ص ٣٨ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

(٥) الكامل ج ٢ ص ٧٧ .

(٦) من حديث رواه أحمد عن أنس ورجاله ثقات ، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٢/٥ وقال المنذري في الترغيب والترهيب : إسناده جيد ، انظر المنتقى حديث رقم (١٢٩٩) ورواه أحمد في حديث آخر بلفظ « الأمراء من قريش » قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، خلا سكيت بن عبد العزيز وهو ثقة (١٩٣/٥) وقال المنذري : ورواته ثقات (انظر المنتقى /١٣٠٠) .

(٧) انظر مقدمة ابن خلدون ج ٢ ، ص ٦٩٥ ، ٦٩٦ ط. لجنة البيان العربي الثانية بتحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، وانظر كيف نتعامل مع السنة النبوية د. يوسف القرضاوي ، ص ١٣٠ .

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للأنصار : « لا ترضي العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم » [١] وحينئذ قال الأنصار : « منا أمير ومنكم أمير » فأبى المهاجرون ، وبايع عمر وأبو عبيدة أبا بكر [٢] فاقتدى بهما الأنصار إلا بعض الخزرجيين ثم وافق أكثرهم بما يشبه الإجماع ، ولا سيما حين استيقنوا أن الأمر سيكون شورى بينهم وبين المهاجرين [٣] .

وخلف رسول الله ﷺ لأبي بكر في المنطقة الوسطى من الحجاز حكومة واحدة قوية تشتمل على مكة والمدينة وكثير من المناطق المجاورة [٤] وأنه جعل من رعايا هذه الحكومة « أمة » واحدة ذات شخصية متميزة وكيان أصيل [٥] ، وأنه أحل في المجتمع الإسلامي رابطة الدين وإخاء المؤمنين محل العصبية البغيضة والشعور القبلي المقيت [٦] لكن هذه الوحدة السياسية المثالية أخذت تضعف بعد وفاة الرسول ﷺ ولا سيما بين القبائل التي خضعت للإسلام خضوعا ظاهريا ، وسمَّت الزكاة « أتاوة » [٧] وامتنعت هذه القبائل عن دفع الزكاة إلى أبي بكر ، وأولئك هم أهل الردة [٨] الذين اضطر أبو بكر إلى محاربتهم إلا أن

---

(١) عمر بن الخطاب (لابن الجوزي) ٣٤ ، ٣٥ انظر : « تاريخ عمر » .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٠١٦ .

(٣) الكامل ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٤) ابن هشام ج ٢ ، ص ٩٣٣ .

(٥) انظر : Encyc Lopediede de I,Lslan (Art.Unna) 4/1010

(٦) انظر : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٤٢ (أرنولد) طبعة القاهرة ، ١٩٤٧ ، ترجمة حسن إبراهيم وعابدين .

(٧) الكامل ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٨) الأحكام السلطانية (للماوردي) ص ٤٤ ، مطبعة الوطن بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

يرجعوا إلى الدين ويتعهدوا بإقامة أركانه [١] ، وإلا فلا يهادنون ولا يصالحون [٢] .

وتوفى أبو بكر في الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ١٣ هـ بعد أن قضي على فتنة المرتدين ، وأحرز أعظم الانتصارات في حركة الفتوح ، فكان بعد رسول الله من أكبر مؤسسي الدولة الإسلامية [٣] .

واستشار أبو بكر – رضي الله عنه – قبل وفاته الصحابة في استخلاف عمر ، فحمدوا له ذلك حتى كأنهم انتخبوا عمر انتخابا ، وكتب لعمر بالخلافة عهدا ، تاركا له بعد وفاته مقاليد الأمور [٤] .

ولا ريب أن عصر عمر هو العصر الذهبي للإسلام ، وأنه كمل عهد أبي بكر ، وأن عمر نفسه كان أشهر خلفاء المسلمين ، وحسبك ما تم من الإصلاح في أيامه لشئون الإدارة والمال حتى قالوا : عمر أول من دون الدواوين ، فقد سمى للمقاتلين من أهل الحجاز أو من « الروادق » المنضمين إليهم من عرب الجزيرة [٥] ولعائلاتهم من النساء والصبيان مرتبات ثابتة عرفت بالعطاء [٦] ، وقدر ذلك العطاء حسب قرابتهم من النبي ﷺ [٧] أو شهودهم بدرا الكبرى ، أو حضورهم المواقع المشهورة كالقادسية واليرموك [٨] .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ١ ص ١٨٨١ – ١٨٨٤ ، الطبعة الأولى ١٩٠١ م .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، د. صبحي الصالح ، ص ٢٦٠ ، دار العلم للملايين سنة ١٩٨٠ م .

(٤) الكامل ج ٢ ص ٢٩٢ ، وقارن بكتاب تاريخ عمر (لابن الجوزي) ص ٣٦ .

(٥) انظر المصباح المنير ٣٤٤/١ – ٣٤٥ للفيومي ، طبعة القاهرة .

(٦) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٩ ، شركة طبع الكتب العربية ، مصر ط ١٣١٩/١ هـ – ١٩٠١ م .

(٧) الخراج لأبي يوسف ص ٥٠ ، المكتبة السلفية ، ط ٢ ، القاهرة سنة ١٩٥٢ م وطبعة باريس ١٩٢١ م .

(٨) الكامل ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وفكر عمر في الحكم بعده من غير أن يستقر على رأي ، ولما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي في أواخر سنة ٢٣ هـ ألح عليه المهاجرون أن يستخلف [١] ، فخاف عاقبة الاستخلاف وقال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني » ، وآثر أن يحصر الأمر في ستة من كبار أصحاب النبي ﷺ ليختاروا واحدا منهم فيبايعه المسلمون ، وهم : على بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأولئك هم أهل الشورى [٢] الذين فوض إليهم التشاور في هذا الأمر الخطير .

وخلع كل واحد من هؤلاء الصحابة نفسه عن اختيار الخليفة ، وعهد إلى الآخر باختيار الخليفة [٣] ، حتى انتهى الأمر إلى عبد الرحمن ابن عوف ، فأعلن في المحرم سنة ٢٤ هـ تولية عثمان بن عفان [٤] ، وساء بني هاشم ذلك الاختيار . ولم يملكوا أنفسهم من إبداء امتعاضهم لتحامل القوم عليهم [٥] ، وإن وجد عليّ نفسه مضطرا لمبايعة عثمان كما بايع من قبل أبا بكر وعمر [٦] ، وبعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – لجأ الناس إلى علي يقولون : أمير المؤمنين ، فلم يجد بدا من قبول الخلافة ، وقد عرضها عليه عرب الأمصار وأهل بدر والمهاجرون والأنصار [٧] ،

---

(١) تاريخ عمر لابن الجوزي ص ١٥٢ .

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٥٢ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ١٦٦ – القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ وطبعة المطبعة الأزهرية ١٣٤٨ هـ ١٩٢٠ م .

(٥) قارن بالكامل ج ٣ ص ٣٥ .

(٦) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٢ « للبلاذري » تحقيق غموتين .

(٧) العقد (لابن عبد ربه) تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة سنة ١٩٤٠ م مصر .

وأطلق عليه شيعته لقب « الإمام » [١] وحرض الثوار عليا على عزل العمال الذين عينهم عثمان ، فأذعنوا جميعا إلا معاوية في الشام الذي علق على المنبر قميص عثمان [٢] وطفق يحض الناس على الثأر للخليفة المقتول .

وعندما سار علي إلي العراق خرجت السيدة عائشة وأنصارها للقائه وأخذت تحمس الجند وهى في هودجها على الجمل ، ثم عقر جملها وقتل دونه سبعون رجلا ، وعرف هذا اليوم بموقعة الجمل [٣] وأعاد علي عائشة إلى مكة محاطة بالتكريم [٤] وتابت هي إلي الله أسفا على ما أريق من دماء المسلمين [٥] .

ثم كان يوم صفين ، وتحكيم الحكمين ، ثم بداية الوهن ، وتصدع الصفوف بين أتباع علي ، وعرف معاوية كيف ينتهز الفرصة بإثارة الاضطرابات في أرجاء البلاد [٦] ، فازدادت نقمة الخوارج ، وقرروا قتل معاوية وعلي ، فلم ينجحوا في قتل أولهما ، أما علي فقتله عبد الرحمن ابن ملجم في المسجد في شهر رمضان وهو يردد : « الحكم لله لا لك ياعلي » [٧] وبمصرعه انتهت خلافة الراشدين ، وخلا الجو لمعاوية ليعلن خلافته بالشام ، ويدخل على نظام الحكم مبدأ الوراثة الذي ينافي روح الإسلام [٨] .

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٨ .

(٢) الإمامة والسياسة (لابن قتيبة) ج ١ ص ١٣٣ صححه محمد محمود الرافعي ، القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م .

(٣) الكامل ج ٣ ص ١٢٧ .

(٤) المصدر السابق ١٣٢/٣ .

(٥) انظر عائشة والسياسة : للأستاذ سعيد الأفغاني ، ص ٢٤٢ الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، سنة ١٩٥٧ م .

(٦) الكامل ج ٣ ص ١٣٨ ، ١٨٠ .

(٧) المصدر السابق ج ٣ ص ١٩٦ .

(٨) المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٨ .

وعندما فكر معاوية بتوريث ابنه يزيد الخلافة من بعده ، استحدث للنظم الإسلامية تقليدا جديدا ، غير به سنة السلف ، وتشبه بملوك الفرس والبيزنطيين ، وحول الخلافة - كما قال الجاحظ - إلى ملك كسروى وعصب قيصري » [١] ، وأرسل معاوية ابنه يزيد في عهد مبكر إلى حرب الثغور [٢] وكتب إلى عماله بتقريظه ومدحه [٣] ؛ ليزيل عنه ما ألصقه به أعداء البيت الأموي من الخلاعة وشرب الخمر وإيواء المغنين [٤] ثم أخذ له البيعة بنفسه من وفود الأمصار ، حتى ولو كانوا كارهين [٥] .

سقوط الخلافة الأموية :

بدأت الخلافة الأموية تضعف بعد موت معاوية - رضي الله عنه - وتولى يزيد الخلافة بعده ، فقد كان الحسين بن على أول الخارجين على يزيد ، وقد تمسك بالخلافة بعد تحريض أهله إياه ، وتأييدهم له ، وسار بعدد قليل من أصحابه إلى الكوفة التى قتل فيها من قبل أبوه ، وقاتل آل البيت قتال الأبطال ، في سهل لا ماء فيه بالقرب من الفرات ، سماه الحسين « كربلاء » إذ لم يكن فيه إلا الكرب والبلاء [٦] ومازال

---

(١) رسالة في معاوية والأمويين ص ١٦ صححها ونشرها عزة العطار ، القاهرة ، سنة ١٣٦٥ هـ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٢٧١ ، تحقيق هوتسما ، الطبعة الأوربية في جزأين ١٨٩٣ م .

(٣) الكامل ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٤) الأغاني ج ١٦ ص ٧٠ لأبي الفرج الأصفهاني - ٢٠ جزءا ، طبعة بولاق ، سنة ١٢٨٥ هـ .

(٥) انظر : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٦ ، والإمامة والسياسية ج ١ ص ٢٦٣ .

(٦) معجم البلدان ج ٧ ص ٢٢٩ ، لياقوت الحموي ، تحقيق أمين الخانجي ، ٨ أجزاء القاهرة ، سنة ١٣٢٣ هـ .

أنصاره يتنافسون بالقتال بين يديه حتى أصبح أغلبهم ما بين قتيل وجريح [١] ثم نزل إليه رجل نكرة فركب صدره وحز رأسه الشريف [٢] وكانت هذه هى (الفتنة الثانية) [٣] التي حاقت بالمسلمين بعد الفتنة الكبرى – بمقتل عثمان ، رضي الله عنه – فانفصمت عري الوحدة ، وكثرت الفرق ، وتشعبت الآراء ، واستحالت الخلافة الأموية « ملكا عضوضا » وإن خرج منها حكام أكفاء ، أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية ، ووسعوا رقعة الدولة .

ومما ساهم في سقوط الدولة الأموية الصراع بين أفراد البيت الأموي ، والدليل على هذا هو أن مروان كان له موقف من ولاية يزيد في حياة معاوية ولا نود أن نفصل هذا الموضوع الذى أشبعته المصادر دراسة وبحثا [٤] .

الخلافة في الدولة العباسية :

قامت الدولة الإسلامية العباسية على أكتاف الأعاجم ، لأن العباسيين لم يجدوا بدا من إشراكهم في السلطة ، ولم يكن عجبا أن تأثروا بهم ، فغلبت على خلفائهم نزعة استبدادية أوشكت أن تذكر الناس بأكاسرة الفرس ، وبالخلافة العباسية دخلت الأمة الإسلامية طورا جديدا ، حتى قال المؤرخون : إن دولة بني أمية عربية ، ودولة بني العباس

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٥٥ ، لأبي الفرج الأصفهاني ، النجف سنة ١٣٥٣ هـ .
(٢) انظر فرق الشيعة ص ٢٥ ، « للنوبختى » صححه محمد صادق ، النجف سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م .
(٣) انظر الكامل ج ٣ ص ٢٦٤ .
(٤) انظر : النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية ، تأليف : رياض عيسى ، دار حسان للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م وانظر خلافة بني أمية ، ص ٧٩ ، ٨٠ نبيه عاقل ، والتاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، سنة ١٩٦٦ م ص ٩٥ .

أعجمية [(١)] واستطاع الحكام العباسيون أن يفرضوا على الناس طاعتهم باسم الدين ، ولا سيما حين كان الخليفة يرتدي بردة النبي ﷺ في المواسم والأعياد [(٢)] .

ولقد أصبحت الخلافة في العصر العباسي وراثية تماما ، ووجهت في هذه المسألة أقسى ضربة إلى تقاليد العرب حين تجاهل العباسيون مشكلة السن ، فعهدوا بالخلافة إلى الذين لم يبلغوا سن الرشد : كما عهد الرشيد إلى ابنه الأمين وكان عمره خمس سنوات فقط ، وربما كانت هذه الطريقة معروفة في العهد الأموي ، إلا أن العباسيين توسعوا فيها وجروا بها على الخلافة كثيرا من الويلات [(٣)] .

النفوذ التركي ٢١٨ هـ - ٣٣٤ هـ :

لعل أهم ما نلاحظه في هذه الفترة أن ظروفا جديدة طرأت فغضت من قيمة الخلافة ومكانة الخليفة حتى بدأت سلطاته تتقلص رويدا ، بعد أن تدخل الأتراك في شئون الدولة حتى في اختيار الخلفاء وتعيينهم وعزل بعضهم أحيانا ، ومن ذلك أن المعتز لما جلس على سرير الخلافة قال بعض الظرفاء : أنا أعرف مقدار خلافته ، قالوا له : فكم يعيش وكم يملك ؟ قال : ما أراد له الأتراك أن يعيش [(٤)] .

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٤ (للجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٤٨ م .

(٢) النظم الإسلامية (لحسن إبراهيم) ص ٤٠ وعلى إبراهيم حسن بالقاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، سنة ١٩٥٩ م .

(٣) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ١٩ (ناجي معروف) الطبعة الأولى ببغداد سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

(٤) الفخري في الآداب السلطانية (لمحمد بن على بن محمد بن طباطبا المعروف بابن الطلقي) شركة طبع الكتب العربية بمصر سنة ١٣١٧ هـ .

النفوذ البويهي ٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ :

في هذه الفترة انحط مركز الخليفة انحطاطا شديدا ، وفقد حرمته ومكانته ، فقد جاء معز الدولة البويهي على رأس جيش أعجمي ، وفتح به بغداد وأنشأ في مركز الخلافة إمارة وراثية وسمي نفسه أمير الأمراء .

وأبقى البويهيون على الخلافة ، ولكنهم انتزعوا من الخليفة كل سلطة تنفيذية . وهكذا لم يبق للخلفاء في هذا العصر إلا القليل من النفوذ الديني يمكنهم من تعيين القضاة والوعاظ وأئمة المساجد والقائمين بالشئون الروحية المحضة ، وبكلمة واحدة أضحى الخليفة أقرب إلى رجل الدين المعظم ، بينما كانت السلطة السياسية من نصيب أمير الأمراء [1] .

النفوذ السلجوقي ٤٤٧ هـ - ٥٩٠ هـ :

اضطربت الأحوال في إقليم العراق مما جعل الخليفة القائم بطغرليك مؤسس الدولة السلجوقية ، الذي دخل بغداد سنة ٤٤٧ هـ فقضى على البويهي ، وفي هذا العهد السلجوقي حاول الفاطميون أن يستولوا على العراق ، واستطاع رجل منهم يقال له البساسيري أن يسير إلى بغداد وأن يخضعها لنفوذه ، واستطاعوا أن ينتزعوا بلاد الشام أيضا من الفاطميين ، وانقطعت الدعوة إلى الفاطميين منذ أعلن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين اعترافه للعباسيين بالخلافة .

وقد استعادت الخلافة في هذه الفترة شيئا من عزتها وكرامتها ، فعاد الناس يلقبون الخليفة « بأمير المؤمنين » [2] .

(١) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٢٢ ، (ناجي معروف) .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

ولقد ظلت السلطة بأيدي السلاجقة إلي وفاة السلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٧٤ هـ ، ثم زالت هذه السلطة منذ تلك السنة عن العراق .

وتمكن الخليفة الناصر لدين الله العباسي من الإجهاز على آخر سلاطين السلاجقة سنة ٥٩٠ هـ وقال : إنه يريد أن يصلح نظم الخلافة ، وربما تم له ما أراد في بعض مظاهر الإصلاح ، وجاهر الناصر بتعظيم العروبة في ديار الإسلام ، فأتاح بهذا للخلافة أن تبقى بنجوة عن نفوذ الأعاجم الطامعين ، وظلت الخلافة العباسية مستقلة نحو ٦٦ سنة حتى سقوط بغداد بأيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ [١] .

عهد الفاطميين سنة ٢٩٧ - ٥٦٧ هـ :

قامت الخلافة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧ هـ وانتقلت إلى مصر في عهد المعز لدين الله سنة ٣٦٢ هـ وإلي فاطمة بنت الرسول ﷺ ينتسب مؤسسو هذه الخلافة ، الذين رغبوا منذ البداية في مزاحمة الخلافة العباسية على شئون الحكم .

أخذ الفاطميون بمبدأ الوراثة في الحكم كالعباسيين ، وأوجبوا على الإمام أن يعين اسم ولي عهده قبل موته لئلا تخلو الأرض من إمام .

وقد وضعوا كثيرا من النظم الإدارية والمالية ، أحكموا بها أمور الخراج والحسبة والجوالي والأحباس ، وبسطوا سلطانهم على البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى نهر الفرات شرقا ، ومن آسيا الصغرى شمالا إلى بلاد النوبة جنوبا [٢] .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٤ .
(٢) انظر النظم الإسلامية (لحسن إبراهيم) ص ٧٩ - ٨٥ .

ونشأت خلافة أخرى للفاطميين في شمالي أفريقية ، وحرص بعض خلفائها على مظاهر الأبهة كما كان يحدث في بلاط قرطبة بالأندلس ، ليظل الخليفة في نظر الناس حاكما دنيويا وإماما روحيا [١] .

سقوط الخلافة العباسية

هناك أسباب كثيرة أدت إلى سقوط خلافة العباسيين سوف أذكرها بإيجاز وهي ما يأتي :

أولا : حملة المغول العسكرية ، بقيادة هولاكو – وسقوط بغداد على أيدي المغول وأعوانهم [٢] – وأصبحت مدينة بغداد ، ومعها جميع أراضي الدولة العباسية بصورة رسمية جزءا من الممتلكات المغولية ، وذلك عندما مثل المستعصم بنفسه أمام هولاكو وأعلن استسلامه للمغول [٣] وقد كانت نهاية الدولة العباسية في سنة ستمائة وستة وخمسين للهجرة في يوم الأحد الرابع من صفر [٤] .

ثانيا : دور العناصر المسيحية من خارج أراضي الدولة العباسية :

يبدو لنا من الخطأ الكبير القول بأن سقوط بغداد وما نتج عنه من دمار الدولة من مصائب ومحن ، وما تعرضوا له : من القتل والسلب خلال الغزو المغولى – كان سببه المغول بصورة رئيسية وأساسية – وإنما شاركت بعض العناصر المسيحية والإسلامية في القضاء على الخلافة في بغداد [٥] .

---

(١) انظر المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٢٥ .

(٢) انظر رشيد الدين ، جامع التواريخ ج ٢ ص ٦٩٩ (خلفاء جنكيز خان) ترجمة إلى اللغة الإنجليزية ، فارسية ، مترجم إلى الإنجليزية ، الأستاذ الدكتور / ج.أ. بويل نيويورك سنة ١٩٧١ م .

(٣) انظر ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٥ ، تحقيق دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .

(٤) انظر : مجمل فصيحي ، ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٥) انظر تاريخ المغول والعالم الإسلامي – سقوط الدولة العباسية ، د. سعد بن محمد =

لقد بدأت البعثات التبشيرية – الأوربية وغير الأوربية – المسيحية نشاطاتها التبشيرية ، بين الأوساط المغولية ، منذ وقت مبكر جدا ، وذلك لتشجيع أولئك الناس ، وحثهم على اعتناق الديانة المسيحية ، والعمل على إعلاء هذه الديانة السماوية وجعلها أكثر انتشارا .

وكان الغرض من وراء هذه البعثات التبشيرية المسيحية ، ونشاطاتها ، يهدف إلى تحقيق أمرين ، في غاية الأهمية :

أ – نشر هذه الديانة في هذه الأصقاع .

ب – السعي الحثيث بجد ونشاط مضنيين وراء إيجاد نوع من التحالف الشرقي – الغربي ، ثم القيام بعد ذلك بحملة صليبية أخيرة ضد المسلمين . والقضاء على دينهم بصورة نهائية [1] .

وكانت الدويلات المسيحية الصليبية في الشرق الأوسط وعلى رأسها دويلاتهم في أرمينيا الصغرى وفي أنطاكية وفي طرابلس ممن عرف أنهم ساهموا مساهمة فعالة في حملة المغول ضد الأقطار الإسلامية ، فقد انضمت قواتهم العسكرية تحت خدمة المغول ، فانضوا تحت لوائهم على أمل مكاسب إقليمية من أراضي المسلمين ، وخاصة استعادة بيت المقدس ، ومن ثم القضاء المبرم على الإسلام كدين رئيسي في المنطقة .

ثالثا : دور المسيحيين من داخل أراضي الخلافة العباسية :

لم نجد في المصادر التي تسنى لنا الرجوع إليها أية إشارة تدل على

= حذيفة الغامدي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(١) آرنولد ، سيرثومان ، الخلافة ، لندن ، سنة ١٩٧٠ م ص : ١٢٥ ، وكوك ، رتشاد بغداد ، مدينة السلام ، لندن ، سنة ١٩٢٧ م ص ١٣٠ – ١٣٩ وساووندرز ، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص ٧٩ ، بابا الله ، تاريخ بابا الله الثالث ، ص ٤ .

أن الجالية المسيحية هناك : قد ساهمت مع المغول ، أو قدمت لهم تسهيلات ، أو مساعدات ضد الدولة العباسية ، أثناء اقتحام المغول لأراضي العراق عامة ، وبغداد خاصة . على الرغم من أن بعض التقارير التي بين أيدينا تشير بوضوح إلى أن منازل أتباع الدين المسيحي كان يقوم على حراستها جنود مغوليون ، أرسلوا خصيصا للقيام بهذا الغرض أثناء اجتياح بغداد ، وقد كان موقف المسيحيين في بغداد موقفا إيجابيا بوجه عام ، وذلك بالعكس تماما من موقف المسيحيين الصليبيين في الشام هذا على الرغم من أن فئات قليلة تصرفت تصرفا صلفا ، جرحت شعور المسلمين في هذه المحنة الكبرى [١] .

رابعا : دور العناصر المسلمة في إسقاط بغداد وتدمير الخلافة العباسية :

كان هناك عناصر ، تتكون من المسلمين ، وقوى شاركت فعلا في حملة المغول التي قادها هولاكو ضد أراضي العراق ، ممن شاركت في كارثة بغداد ، والإطاحة بحكومتها العباسية ، وتنقسم هذه العناصر إلى فئتين رئيسيتين ، تتكون الأولى من أولئك الذين اتهمتهم بعض المصادر بالقيام بالتآمر الغادر مع القوات المغولية الغازية ، ضد حكومة بغداد العباسية [٢] .

أما المجموعة الثانية (من العناصر والقوى المسلمة) فيتكون أعضاؤها ممن ثبت أنهم اشتركوا فعلا مع المغول ، مشاركة فعالة ، في

---

(١) انظر : الحوادث الجامعة ص ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٣٢٩ ، وص : من ٣٣٣ - ٣٣٤ ، ابن القوطي .

(٢) انظر : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٩٠ ، اليونيني ، والبداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٠٢ ، الإمام ابن كثير ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٦٧ م .

غزواتهم تلك ضد الأراضي الإسلامية ، وممن تلطخت أيديهم بدماء إخوانهم المسلمين [١] كما أن هناك بعض الحكام المسلمين شارك المغول في حملتهم الغازية تلك – بقيادة هولاكو [٢] .

الخلافة الإسلامية في تركيا

تأسست الدولة العثمانية على يد الأتراك العثمانيين بعد تفكك الإمبراطورية السلجوقية ، ومؤسس الدولة العثمانية هو عثمان الأول الملقب بـ « الغازي » وتعاقب على عرش الدولة العثمانية عدد كبير من السلاطين بدءا من السلطان عثمان الأول (١٢٩٩ – ١٣٢٦ م) تاريخ استقلاله ١٢٩٩ م ، ثم جاء بعده السلطان أورخان (١٣٢٦ – ١٣٦٠ م) واستمر توليهم للحكم الواحد تلو الآخر إلى أن تولى السلطان العثماني الرابع والثلاثون (عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد) وقد ارتقى العرش بعد أن قطع الأطباء الأمل في شفاء السلطان مراد .

وفي استانبول التي كانت تعج بجواسيس الدول الأجنبية نشطت السفارات في جمع المعلومات عن السلطان الجديد المرتقب ، ولقد أتى السلطان عبد الحميد إلى الحكم في فترة مضطربة جدا من تاريخ الدولة العثمانية ، فالأوضاع كانت تغلي في البلقان والثورات قائمة في هرسك وفي بوسنة ، وفي الجبل الأسود ، وفي بلغاريا ، والدول الأوربية

---

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٨ ، أبو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل (ويعرف هذا الكتاب بالذيل على الروضتين) القاهرة ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م وانظر : دول الإسلام ، ج ٢ ص ١٢٢ ، وانظر : فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٣ ، ابن شاكر الكتبي .

(٢) انظر : جامع التواريخ ، رشيد الدين ، ج ٢ ص ٦٨٨ .

وروسيا تؤجج هذه الثورات وغيرها ، وتمدها بالسلاح وبالمتطوعين ، وتضغط بذلك على الدولة العثمانية التي بقيت وحيدة أمام هذه الدول جميعا (١) .

سياسة السلطان تجاه الحركة الصهيونية :

طرد اليهود من كثير من البلدان الأوربية التي سكنوا فيها – دون أن يتعايشوا ويتآلفوا وينسجموا مع شعوبها ، بل تقوقعوا على أنفسهم وعاشوا في أحياء منعزلة مقفلة عليهم أطلق عليها اسم « الجيتو Ghettosystem » فكرهتهم هذه الشعوب ونبذتهم وأساءت معاملتهم ، وحرمت عليهم في معظم الأحيان تولي المناصب العامة (٢) .

ولما كانت فلسطين تقع آنذاك ضمن أملاك الدولة العثمانية ، فقد اتجهت أنظار ومحاولات زعماء اليهود إلى السلطان عبد الحميد لعله يوافق على مقترح من مقترحاتهم العديدة لتشكيل نواة صغيرة في فلسطين أو فيما يجاورها كخطوة أولى تتبعها خطوات أخرى للوصول إلى الهدف النهائي .

وقد بذل اليهود كثيرا من المساعي لدى السلطان تعرض عليه جهود اليهود في تعمير تركيا ، وتجديد شبابها مقابل السماح لهم بالاستيطان في أراض في شرق الأردن وسوريا الجنوبية ، فرفض الطلب من قبل السلطان الذى كان يحدس المرامي الحقيقية لليهود قائلا : « إن اليهود يستطيعون العيش بسلام فى أية جهة من المملكة إلا في فلسطين ؛ لأن الدولة العثمانية

(١) انظر الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، للدكتور محمد كامل الدسوقي ص ٢١٤ .

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، بقلم أورخان محمد علي ، دار الوثائق بالكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

ترحب بالمضطهدين ، ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين » [١] .

سقوط الخلافة الإسلامية كان مخططا من قبل أعداء الإسلام وبخاصة اليهود :

لقيام دولة إسرائيل في فلسطين كان لابد من سقوط الخلافة الإسلامية ، وهذا بعينه ماجاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، حينما تنبأ به نيلوس بعد اطلاعه على هذه البروتوكولات وذلك منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) [٢] وذلك يؤكده طلب قرصو زعيم اليهود في سالونيك إلى السلطان عبد الحميد إعطاء فلسطين لهم ليتخذوها وطنا قوميا ، فلما رفض الخليفة توعده الزعيم اليهودي [٣] وكان من بين من سلمه قرار العزل بعد ذلك اثنان من زعماء اليهود [٤] .

وللقضاء على الخلافة الإسلامية التي أظلت بلاد الإسلام منذ عهد النبي ﷺ وقبل أن يقضي على السلطان المجاهد عبد الحميد – كما أوصى بذلك أحد مؤتمرات التبشير كان هناك تمهيد يتلخص في الآتي :–

أولا : فصل الدين عن الدولة :

إن فكرة فصل الدين عن الدولة كانت من عمل اليهود ، كما أشار إلى ذلك وليام غاي كار الأمريكي [٥] وهذه الفكرة كانت غريبة عن

---

(١) انظر « موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية » ص ٥٨ .
(٢) انظر : الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة التونسي .
(٣) انظر المصدر السابق .
(٤) انظر المشروعية الإسلامية العليا ، ص ٢٣١ ، د. على جريشة .
(٥) انظر : أحجار علي رقعة الشطرنج ، وليام غاي كار ، ترجمة سعيد الجزائري .

الشرق الإسلامي ، ومن ثم كانت الأيدي الأجنبية وراءها سواء كانت أيدى الصليبية المتعصبة أو اليهودية الحاقدة ؛ لأن مثل هذه الفكرة لا توجد في الفقه الإسلامي ، والفكر الإسلامي لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها ، بل يعرف الفكر الإسلامي عكس ذلك تماما ؛ لأن القرآن الكريم يحرم ذلك ويعتبر ذلك كفرا ، وفتنة ، وجاهلية . ويعرف الفكر الإسلامي أن وظيفة القرآن الأولي ، هي أن يحكم ، لا أن يوضع على الأرفف والمناضد ، أو تحشي به الجيوب ، قال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [1] ويقول تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [3] وقال جل شأنه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [4] . وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [5] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [6] .

فالإسلام دين يحكم كل شيء ، قال تعالي : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [7] والإسلام كما ينظم شئون الفرد والأسرة ينظم أيضا شئون الدولة وشئون المجتمع الدولي وذلك نابع من طبيعة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٣ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ١ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ .
(٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٧ .
(٦) سورة المائدة ، الآية : ٤٥
(٧) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

الإسلام العالمية الذي بعث الله به رسوله محمدا ﷺ رحمة للعالمين ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢) ذلك فقه الإسلام وفكره .. الدولة جزء من الدين قسم له لا قسيم (٣) .

وإذا عرفت التفرقة بين الدين والدولة في الغرب نتيجة لاضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء ، وسخريتها بعقائد الناس وعقولهم ، فإن الشرق الإسلامي لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء ، بل حفظ لهم الإسلام ، وحفظت لهم أمتهم أكرم مكانة ، وأعز منزلة . ومن ثم فلم يكن هناك محل – لا من الناحية الفكرية ، ولا من الناحية التاريخية – لِبَثّ فكرة فصل الدين عن الدولة .

ونشأت هذه الفكرة حينما اعتنق حزب الاتحاد والترقي في تركيا الفكرة وعمل على ترويجها ، ثم عمل عن طريق ضباطه علي عزل السلطان عبد الحميد ، ذلك الخليفة الذي رفض أن يعطي فلسطين وطنا لليهود وبصق في وجه زعيمهم قرصو . وصارت الحكومة المدنية في أنقرة هى التي تحكم ، والخليفة في الآستانة بغير سلطان تطبيقا لفصل الدين عن الدولة (٤) .

ثانيا : نشر القومية في مواجهة الخلافة :

كانت فكرة بث القومية هي المعول الثاني من معاول تحطيم الخلافة

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٢٨ .

(٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٩ .

الإسلامية بعد بث فكرة فصل الدين عن الدولة ، ونتيجة لهذه الفكرة فقد بدأت تظهر القوميات التالية :-

(١) إثارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة (تركيا) .

(٢) إثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة .

والقومية التركية تعهدها بالرعاية حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة . بينما انزلق إلى القومية العربية الشريف حسين ظنا منه أنها الوجه الآخر للإسلام ، وقد بدأت الدعوة إلى القومية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتألفت في بيروت جمعية سرية لهذا الغرض في سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م [١] واعتقادا من الشريف في حسن نوايا الجاسوس (لورانس) ومن ورائه ماكما هون حتى انتهى الأمر إلى أن تحارب جيوش القومية العربية جيوش الخلافة الإسلامية تعضدها الجيوش الإنجليزية التي سارت تحت راية فيصل ابن الشريف حسين لتخرج سوريا لاستقبالها استقبال الفاتحين [٢] .

ثالثا : إسقاط الخلافة الإسلامية :

لقد صنعت الصهيونية العالمية مصطفى كمال أتاتورك ، كما صنعت حزب الاتحاد والترقي ليكون هؤلاء الجسر الذى تعبر عليه للقضاء على الخلافة الإسلامية ، ويتضح ذلك من توقع بيلوس منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) كما أشرت إلى ذلك فيما مضى ، وكذلك تهديد الزعيم اليهودي قرصو للسلطان عبد الحميد بعد أن رفض إعطاء فلسطين لليهود ،

---

(١) راجع تفصيلا لذلك بحثا طيبا عن عوامل ضعف المسلمين ، للأستاذ سميح عاطف الزين دار الكتاب اللبناني .

(٢) انظر : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٤٠ .

وقبل ذلك كله نشروا فكرة فصل الدين عن الدولة ومصدرها المباشر الصليبية ، ومصدرها الغير مباشر الصهيونية ، وفيما قبله نشر القومية العربية على يد لورانس الجاسوس الإنجليزي .

وقد وضعوا شروطا أربعة لاستقلال تركيا وتسليمها للكماليين ، وهى :-

(١) قطع كل صلة بالإسلام .

(٢) إلغاء الخلافة .

(٣) إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد .

(٤) اتخاذ دستور علماني بدلا من الدستور القديم [١] .

وفي مارس عام ١٩٢٤ م أعلن « كمال أتاتورك » رئيس تركيا إلغاء منصب الخلافة من بلاده فكان لهذا دوي بالغ في جميع أنحاء العالم الإسلامي [٢] ، وأختم حديثي عن سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا بالسؤال التالي :

هل صارت تركيا – بعد إلغاء الخلافة – في مصاف الدول العظمي ؟

والجواب على ذلك : أن تركيا وبعد مرور أكثر من نصف قرن من إلغاء الخلافة فيها لا توضع في الدرجة الثانية ، ولا الثالثة ، ولا الرابعة ، بين دول العالم .. وكانت قبلها في الدرجة الأولي ، أهذا هو الترقي .. ياحزب الترقي ؟؟ !!

---

(١) انظر : العالم الإسلامي – الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي ص ٤٦ ، ٤٧ ، أنور الجندي .

(٢) انظر : الإسلام والخلافة في العصر الحديث ، نقد كتاب الإسلام ، وأصول الحكم – الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، مكتبة دار التراث ، شارع الجمهورية – القاهرة .

العوامل الذاتية التي رسخت ظاهرة الانفصال والفرقة بين شعوب العالم الإسلامي

بات معلوما أن العالم الإسلامي - بعد الإجهاز على الخلافة الإسلامية ، وما تبعها وما سبقها من تقطيع لأوصال العالم الإسلامي ، وما صاحب ذلك من حملات تبشير واستشراق ، وإن لم تنجح في تنصير المسلمين بما يكافىء الجهود والأموال المبذولة ، فقد أفلحت في بث الشكوك والوهن في عقائد المسلمين وأفكارهم ، ورسخت ظاهرة الانفصال والفرقة بين المسلمين .

أهم أسباب الانفصال والفرقة بين المسلمين هى ما يأتي :

١ - بعد المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ والبحث عن السعادة والاستقرار في غيرهما .

٢ - الجهل بالإسلام وعدم الإحاطة بعقائده وأحكامه وتشريعاته وأخلاقه وآدابه .

٣ - ضعف التربية الإسلامية الصحيحة ، سواء كان ذلك داخل الأسرة أو في مدارس التعليم على مختلف المراحل .

٤ - نشر القوميات المختلفة بين الأمة الإسلامية ، والبعد عن الوحدة الإسلامية التي تنطلق من المساواة بين المسلمين ، وقد أعلن القرآن الكريم هذا المبدأ المجيد ، ونادت به السنة النبوية المطهرة ، وطبقه المسلمون في مجتمعهم فلم يكن هناك سادة وعبيد ، ولا فقراء وأغنياء ، ولا ملوك وسوقة ، بل كانوا جميعهم متساوين أمام مبادىء الإسلام ونظمه ، كما كانوا إخوة متحابين [1] .

---

(١) قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، ص ١١٦ ، د. محمد السيد الوكيل .

٥ – انتشار البغضاء بين المسلمين ، وهى من الأمور الخطيرة التي زادت الفرقة والشتات ، وقضت على المحبة التي غرسها الإسلام في نفوس المسلمين منذ أن اعتنقوه ، وكانت تشد الناس بعضهم إلى بعض .

٦ – كما أن هناك كثيرا من الآفات الاجتماعية التي ساهمت في توسيع الفرقة والشتاب بين المسلمين ، منها ظن السوء الذي نهى عنه الإسلام في قول الرسول ﷺ : « **إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا** » [١] .

٧ – ومن الآفات التي ساعدت في توسيع الشقة بين المسلمين وأثرت في تماسك الوحدة الإسلامية آفة الحسد ، وهى من أكثر الآفات انتشارا بين المسلمين ، والسبب في ذلك ضعف الإيمان في النفوس ، وعدم التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة [٢] .

٨ – ومن الأسباب التي عمقت الفرقة بين المسلمين ، وحذر الإسلام عن فعلها : الغيبة والنميمة وقد نهى الله – سبحانه وتعالى – عن الغيبة وصورها بأبشع صورة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [٣] . وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** » متفق عليه [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، ج ٨ ص ٢٣ .

(٢) انظر : كتابنا عناصر الترابط في المجتمع الإسلامي ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر طبعة أولى ، سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

(٣) سورة الحجرات ، آية : ١٢ .

(٤) انظر صحيح البخاري ، ج ١١ ص ٢٦٤ ، وصحيح مسلم ، برقم ٤٧ .

وهناك أسباب خارجية زادت الفرقة بين الشعوب الإسلامية فرضها الصليبيون والصهيونية للانقضاض على المسلمين ، ولقد اتخذت من الوسائل ما يضمن بقاء الجسد الإسلامي ممزقا هامدا مثخنا بالجراح ، وكان لهم في ذلك أكثر من سبيل أهمها ما يأتي :-

أولا : التغيير السياسي الذي صاحب الغزو الصليبي للشرق الإسلامي ، ولقد أخذ الصليبيون في التغيير السياسي اللازم ، لبقاء سيطرته أولا ، ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانيا ، وتمثل ذلك فى :

احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م وتونس سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م ومراكش سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وللشام سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م وكان احتلال بريطانيا سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م للهند إيذانا بزوال إحدى الدول الإسلامية الكبرى ، التي قامت في مستهل القرن السادس عشر ، واحتلالها لمصر سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م والعراق سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م وفلسطين ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م ولم يكن ذلك التوزيع وليد الصدفة ، فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الإسلامي ، وصحب ذلك التقسيم إثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية في تركيا .. والقومية العربية في البلاد العربية .. حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصاري باسم القومية والتحرير [١] .

ثانيا : التغيير الاجتماعي ، لقد سعى الغرب الصليبي إلى إحداث كثير من التغيير الاجتماعي بعد أن سيطر على العالم الإسلامي سياسيا ،

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ٤٥ .

والهدف من ذلك هو إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم إلى دين آخر ، كما وضح ذلك من كلام المبشرين ، ثم كانت عملية تنصير المسلمين صعبة إن لم تكن مستحيلة ، فاقتصرت العملية على إخراج المسلمين من دينهم ، ونجحت هذه الخطة ، والعمل بها جار الآن في كثير من بلاد المسلمين ، ثم كانت الخطة الثالثة .. التي لا تذهب إلى عملية الإخراج من الدين تماما ولكنها تكتفي بالإبعاد عن الدين من غير استعمال لفظ الإبعاد ، حتى لا يستثير حفيظة المسلمين أو تنبيههم إلى حقيقة الهدف ، وقد كانت الإشارة إلى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهذيبا مثل التقريب أو التغيير الاجتماعي [١] .

والتغيير الاجتماعي : يعنى تغيير قيم الأمة ومثلها – وتغير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها ، وبعبارة أخرى واضحة ، إبعاد المسلمين عن دينهم .

والتغيير الاجتماعي ، قد سمي التغريب ، وقد يسمونه المدنية ، أو التطور ، أو التقدم ، وما يزال العمل يسير بجد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى جميع بلاد المسلمين ويأخذ التغيير الاجتماعي طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة ، وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف تقوم على التطور والتدرج [٢] .

ومما ينبغي أن نشير إليه هنا وهو أن التغريب ، أو التغيير الاجتماعي الذي كان يجري على أيدي المحتلين والمستعمرين ، صار يجري اليوم – في أكثر الأحوال – على أيدي العناصر الوطنية التي هي في أكثرالأحيان « عسكرية » [٣] هذا هو الهدف من التغيير الاجتماعي ، الذي يعني في

---

(١) انظر : كتاب الحضارة الغربية ، للدكتور محمد محمد حسين ، وكتاب : العالم العربي اليوم للكاتب الأمريكي مورو بيرجر .

(٢) انظر : مورو بيرجر في العالم العربي اليوم ، صفحات ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ .

(٣) انظر : كتاب العالم العربي اليوم ، للكاتب الأمريكي مورو بيرجر ، ص ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

الحقيقة إبعاد الأمة عن دينها في شتى نواحي الدين التي تشمل نواحي الدنيا ، ولقد كان لهذا التغيير أكبر الأثر في تمزيق وحدة المسلمين .

وشعارات الغرب ووسائله لإحداث التغيير الاجتماعي في بلاد المسلمين كانت كما يلي :

علمانية :

في التعليم ، وفي الإعلام ، وفي القانون ، وقوميات تمزق الأمة الواحدة ، وتمزق الدولة الواحدة ، وتحرير المرأة ، ليسقط المجتمع في حمأة الرذيلة ويقضي بنفسه على نفسه .

هذه هي أهم أسباب الانفصال والفرقة بين المسلمين ، وربما تكون هناك أسباب لم أذكرها خشية الإطالة ، وإذا عولجت هذه الأمور فإن الأمة تستطيع أن تتغلب على الأخرى في إطار النظر إلي المسلمين على أنهم أمة واحدة مستهدفة من أعداء الإسلام ، وأن عزتها في وحدتها ، وأن سيادتها وكرامتها في تمسكها بكتاب ربها ، وسنة نبيها ﷺ .

الأمة الإسلامية لها القدرة على إقامة وحدة إسلامية تؤلف بين أبنائها

على الرغم من الحرب الشديدة التي يمارسها أعداء الإسلام ضد المسلمين ووحدتهم فإن هذه الأمة لا تزال قادرة على جمع صفوفها ، وتوحيد كلمة أبنائها ؛ ولأنها ولله الحمد مازالت تملك النور الذي يضيء لها طريقها ، وبعد ذلك فلقد خص الله هذه الأمة ، فجعلها قلب العالم كله من كل ناحية :

من ناحية المكان : هى مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله ، وهو ما يجعل لها مركزا استراتيجيا خطيرا لا يتوفر لأية أمة أخرى (١) .

ومن ناحية الخامة البشرية : فإن الدراسة المنصفة للطبيعة البشرية وخصائصها تجعل لهذه الأمة من الخصائص البشرية ما ليس لأمة أخري ، وبذلك تحقق الوسطية لهذه الأمة على اختلاف وجوهها ، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢) .

إن الإسلام قد أقام الوحدة بين المسلمين على قواعد متينة وأسس راسخة تقاوم كل اعتداء وتتحدى كل العقبات مهما كانت قوية وعنيفة .

وهذا هو السر في بقاء الإسلام قويا بذاته وإن تخلى عنه كثير من أبنائه ، فقد مضى عليه أربعة عشر قرنا ، ولا يزال جديدا يحمل للناس كل ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم .

وإننا لنلاحظ أنه كلما ابتعد المسلمون عن دينهم سخر الله له من يحمل رايته ويدفع عنه المعتدين ، ويحبط كيد الكائدين ، تحقيقا لقول الله جل شأنه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُمْ ﴾ (٣) .

ولكن أمام المسلمين مراحل طويلة حتى يستطيعوا أن يقيموا جامعة

---

(١) سجل الدكتور / حسين كمال الدين الأستاذ بكلية الهندسة ، بجامعة الملك سعود في بحث علمي هام أن الكعبة المشرفة هي المركز لدائرة العالم كله ، بحيث لو أردنا رسم دائرة للعالم لكان لزاما وضع السن على الكعبة المشرفة يمكن رسم هذه الدائرة ، (البحث قدم لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بالرياض في ذي القعدة ١٣٩٦ هـ) .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٣) سورة محمد ، آية : ٣٨ .

إسلامية ضخمة تلم شمل المسلمين وتداوي جراحاتهم ، وتحرر مستعبديهم وترد العدوان عنهم .

يقول الشيخ الغزالى [١] : ولا أدري لماذا يكون الوجود الصيني واقعا عاديا فيصبح الثمانمائة مليون إنسان دولة موحدة ، ويكون الوجود الإسلامي خيالا مستبعدا ؟ ولو كان اتحاد ولايات أو تحالف دول متآخية ؟! .

إن شئون المسلمين لا تعالج – للأسف – بالعقل العادي ، فالتأثر بالاستعمار والتبعية الذليلة للغزو الثقافي هما أساس التجهم الغريب لكل كلام عن الإسلام وأمته الكبرى ، ووحدته المنشودة ، إن الغارة الاستعمارية التي شنتها أوربا على الإسلام وأتباعه منذ قرنين تقريبا استهدفت أمرين رهيبين :–

الأول : رفض أي تلاق على الإسلام بين الشعوب المنتسبة له ، وتمزيق الولاء الموروث نحو الجامعة الإسلامية ، وإحياء نزعات قومية حقيقية ومفتعلة ، تجعل أبناء الأسرة الواحدة متناكرين لا يلوى أحدهم على الآخر ، ولا يخدم آصرة الدين المشترك ، وبذلك أصبح المسلمون أوزاعا بين (٦٠ أو ٧٠ جنسية) في المجال الدولي .

الثاني : تمويت الإيمان في ضمائر الأفراد بحيث ينفصل السلوك عن العقيدة فينحرف هذا وتنكمش تلك ، ويصبح المجتمع مسرحا للمباذل المستقرة ، والأهواء المطاعة ، والتيارات الطائشة ، ثم يتحول مابقي من دين إلى أشكال فارغة وبدع حقيرة لا تغني عن أصحابها شيئا .

---

(١) انظر : قذائف الحق ، محمد الغزالي ، ص ٢٣٦ ، فما بعدها ، طبعة خامسة ، منشورات ذات السلاسل ، سنة ١٩٨٤ م .

وبكلا الأمرين نجح الاستعمار الحاقد في بلوغ أهدافه منا ، وكان وصوله إلى إقامة دولة إسرائيل سهلا ، بعد التمهيد الذي كان يتمثل في إبعاد الولاء للإسلام في المجال العام ، وتوهين الرباط بالعقيدة في مجال العبادة والخلق ، وأنواع المعاملات الأخرى . ا هـ .

يحدثنا التاريخ عن أن الإسلام قد أقام للمسلمين في أيامه الأولى معهم مجدا باذخا وعزا سائدا ، وجعل إلى أيديهم قيادة ركب الحياة ، والاستشفاء للإنسانية مما تزاحم عليها من علل ، وما تفشي فيها من آفات ، اغتالت معاني الإنسانية فيها ، فعدا بعضهم علي بعض ، كما تعدو جوارح الطير على بغاثها ، وإذا الإنسانية في ظل الإسلام تعود إلى رشدها ، وتسترد وجودها ، وتلبس من المعاني الكريمة ماهو جدير بالإنسان الذي أقامه الله تعالى خليفة في الأرض ، يعمرها ويكشف المخبوء من أسرارها ، لتكون مسخرة له ، فيما يمكن له من سلطانه ، ويحقق له معنى الخلافة المنوطة [1] .

ونجد اليوم العالم الأوربي قطع شوطا كبيرا في التقدم العلمي والتقني ، وذلك في ظل إدارة عصرية منضبطة وتنظيم دقيق لجمع المعلومات وتوثيقها فيما يعرف اليوم باسم ثورة المعلومات .

وفي غمرة هذا التقدم العلمي والتقني المذهل تخلف العالم الإسلامي تخلفا شديدا بعد أن حمل لواء المعرفة العلمية والفكرية والصناعية لعشرة قرون كاملة (من القرن السادس الميلادي إلى مشارف عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي) .

فقد أسقطت الخلافة الإسلامية في سنة ١٩٢٤ م بعد احتلال

---

(١) انظر : كتاب مسلمون وكفى – ص ٣٧ – عبد الكريم الخطيب ، دار الشروق ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

مساحات كبيرة من أرض المسلمين ، كما تم تمزيق هذا الجسد الواحد إلي أكثر من خمسين دولة متباينة المساحة وتعداد السكان ، بالإضافة إلى أقليات منتشرة في كل دولة من الدول غير الإسلامية تفوق أعدادها مئات الملايين في بعض هذه الدول .

كما فقد العالم الإسلامي دولة ألبانيا وغالبيتها الساحقة من المسلمين ، وفقد المسلمون أجزاء كثيرة عزيزة على نفوسهم مثل فلسطين ، وولايتي جامو وكشمير ، والجمهوريات الإسلامية التي كان يضمها الاتحاد السوفييتي ، والولايات الإسلامية في كل من الصين والهند والفلبين .

وقد أدى هذا التفتيت المتعمد إلى تشتيت المقومات المادية والروحية والطاقات البشرية للمسلمين ، في وقت أخذ العالم فيه فى الاتجاه إلى التوحد في تكتلات اقتصادية وسياسية وعسكرية كبري ، ولم تعد فيه إمكانية لوجود مستقل لأية تجمعات بشرية يقل تعدادها عن مائة إلى مائة وخمسين مليون نسمة ، وقد أدى تفتيت العالم الإسلامي إلي إفقاره فقرا شديدا على الرغم من ثرواته البشرية والطبيعية الهائلة ، فالغالبية العظمى من سكان الدول الإسلامية اليوم باستثناء الدول النفطية ، تعيش تحت الحد الأدنى للكفاف اللازم لصون كرامة الإنسان (١) .

إن الوحدة الإسلامية بين شعوب العالم الإسلامي يمكنها أن تتحقق لأنها جربت فى هذه الأمة من قبل ، فأعطت نتائج باهرة ، وحققت نجاحا منقطع النظير .

وسعدت تحت سلطانها بالطمأنينة والعدل والاستقرار ، وأطعمها الله بهذه الوحدة من جوع وأمنها من خوف ، وأعزها بعد ذل ، وعلمها

---

(١) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي ، د. زغلول راغب النجار ، طبعة أولى ، كتاب الأمة ، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر .

بعد جهل ، وهداها بعد ضلال واجتمعت عليه بعد فرقة ، وتآخت في ظله بعد عداوة وشحناء ، ومن أنكر هذا فقد كذب التاريخ ونفى الواقع ، وجحد نعمة الله ، وتنكر لآيات الله ، في كتابه على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] وقال سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [2] .

تلك هي طبيعة هذه الأمة ، وذلك هو تأثير الإسلام في أبنائها : العرب وغيرهم من « العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها » [3] .

يقول الأستاذ (كليرنج) في كتابه عن (الشرق الأدنى : مجتمعه وثقافته) :

« إن الدين مرآة تنطبع عليها القيم الروحية والثقافية للشعوب بأجلى صورها وهو للجماعة كالحدقة من العين ، ترتسم عليها صور الحقائق التي توليها الاهتمام » .

أما الأستاذ (أليسون ALISON) فيؤكد استنادا إلي وقائع التاريخ

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٣) من كتاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون – تعريب عادل زعيتر ص ٤١٧ .

ذاته بأن الاستقرار لدي الآسيويين – علي الأخص – في حاجة دائما إلى الاستناد إلي الدين [١] .

وهذا موافق لما ذهب إليه « ابن خلدون » في شأن العرب والترك وغيرهم من شعوب الشرق من حيث قوة تأثير الدين فيهم ، حيث يصبح الوازع لهم من أنفسهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة الوازع عن التحاسد والتنافس [٢] .

فمن أراد أن يصنع بهذه الأمة العجائب ، ويقتحم بها المخاطر ، ويخوض بها لجج المعارك ، ويعيد بها أيام خالد وصلاح الدين ، فليخاطبها باسم الله ، وليقدها بزمام الإيمان ، وليجمعها تحت راية القرآن وكلمة التوحيد ، وقيادة معلمها الأول محمد – عليه الصلاة والسلام – وليربطها بأيام الإسلام ، وتراث الإسلام ، وأبطال الإسلام .

بهذا تكشف الأمة عن خصائصها وأصالة معدنها ، ويتجلى ما تنطوي عليه أعماقها من إيمان غطاه طلاء الحضارة الزائف ، وران عليها الصدأ بفعل المذاهب الدخيلة والأنظمة العميلة ، التي أضلتها عن طريقها وتركتها في حيرة وفراغ [٣] .

إن مما يبعث على الأمل في وحدة هذه الأمة هو أنها أمة مؤمنة بفطرتها وبتجاربها وبتاريخها ؛ والإيمان هو أول ملامحها ، وأبرز المعالم في حضارتها ، وهو صانع أمجادها وصاحب الفضل الأول في تاريخها ، وقائدها في معاركها الكبرى إلى النصر .

---

(١) انظر : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، ص ١٣٥ – د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧ هـ أبريل ١٩٧٧ م .

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون – الكتاب الأول – الفصل : ٢١ – ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٦ .

فبالإسلام فتحت البلاد . وسادت العباد ، وحطمت ملك كسري ، وقصت أجنحة قيصر ، وبه شرقت وغربت ، فأخرجت الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الخالق ، ومن ضيق العيش إلى سعة الحياة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

ومفتاح شخصية هذه الأمة وطريق وحدتها هو الإيمان ، به تصنع المعجزات وتتخطى المستحيلات ، وتستهين بالعقبات ، والله الهادي إلى أقوم طريق .

مقومات الوحدة الإسلامية :

يجتاز العالم الإسلامي اليوم مرحلة من أدقّ مراحله ، منذ أن بعث الله محمدا ﷺ .

ولقد مرت بالعالم الإسلامي أزمات كثيرة من قبل ، بل نكبات كثيرة ، كان المسلمون يفقدون فيها تمكنهم في الأرض ، أو يفقدون أمنهم وطمأنينتهم ، أو يفقدون ديارهم وأموالهم ، ولكنهم مع ذلك لم يخوضوا تجربة أقسي ولا أمر من تجربتهم المعاصرة في تاريخهم كله .

لقد كانت أزمة الردة – مثلا – أزمة حادة ولا شك ، أوشكت أن تهدد الدولة الناشئة وتعوق حركتها وهي في مهدها ، ولكن إيمان أبي بكر الراسخ ، وثقته العميقة بوعد الله بالتمكين لهذا الدين في الأرض ، وحساسيته المرهفة أبت عليه أن يترك الخارجين على أمر الله دون أن يسارع في توقيع العقوبة التي أمر الله بإنزالها بهم ، كل ذلك قد فعل فعله في نفوس الصحابة – رضوان الله عليهم – فوقفوا صفا واحدا وراء أبي بكر – رضي الله عنه – . ونصر الله دينه ، كما وعد ، ولقد كانت فتنة مقتل عثمان – رضي الله عنه – وما تلاها من الحروب بين علي ومعاوية أزمة

حادة ابتلي بها المسلمون ، والدولة ماتزال في نشأتها ، وأعداء الأرض قائمون من حولها .

وكذلك كانت أزمة الحروب الصليبية وحروب التتار أزمة حادة في حياة المسلمين ، وبدا – لفترة من الوقت – أنها يمكن أن تطيح بالكيان الإسلامي كله وتجتث المسلمين من الأرض ، ولكن النتيجة الواقعية كانت غير ذلك ، وجاء النصر من عند الله في النهاية ، وكانت الهزيمة في البدء والنصر في النهاية كلاهما مطابقا للسنة الربانية التي لا يحيد عنها شيئ في الوجود كله ، فقد كان واقع المسلمين سيئا مليئا بالمعاصي والبدع والانحرافات والشتات والفرقة ، والانشغال بذلك كله عن نصرة دين الله والتمكين له في الأرض ، ولذلك اجتاحت جيوش الأعداء أرض المسلمين وأزالت سلطانهم إلى حين ، ولكن جذوة العقيدة كانت ما تزال حية في نفوس المسلمين ، وإن غشيتها غاشية من التواكل والسلبية أو الانشغال بشهوات الأرض ، فما إن جاء القادة الذين يردون الناس إلى الجادة بدعوتهم للرجوع إلى حقيقة الإسلام ، حتى صحت الجذوة واشتعلت .. فجاء على أثرها النصر [١] .

ولكن الأزمة التي يعانيها المسلمون اليوم هي أقسي من سابقاتها وأمرُّ ، وإنني على ثقة كاملة في أنها هي الأخرى ستمر ، ويمكن الله لدينه مرة أخرى في الأرض .

وأذكر الآن أهم مقومات الوحدة الإسلامية – على سبيل المثال لا الحصر – والتي كان لها الدور الأكبر في توجيه المسلمين وإصلاحهم وإرشادهم ، ونهضتهم وازدهارهم ، والتي خلقت عالما مشرقا جديدا لا يشبه العالم الشاحب القديم في شيئ .

---

(١) واقعنا المعاصر : محمد قطب ، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر .

وتتمثل هذه المقومات في الآتي :-

أولا : العقيدة الصحيحة :

تعتبر عقيدة التوحيد الصافية الغالبة من أهم مقومات الوحدة بين المسلمين ، فهي عقيدة ثائرة ، معجزة ، متدفقة بالقوة والحياة ، مقلبة للأوضاع ، مدمرة للآلهة الباطلة ، لم تنل ولن تنال الإنسانية مثلها إلى يوم القيامة .

ولقد كان الإنسان قبل الإسلام يسجد لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطي ولا تمنع ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (١) .

كان العرب قبائل متناثرة متنافرة لا تجتمع علي شيء علي الرغم من وجود كل مقومات التجمع : من وحدة الأرض ، ووحدة اللغة ، ووحدة الثقافة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة التصورات ، ووحدة التطلعات .

وقد كان يمكن - على أقل تقدير - أن يجتمعوا على قضية من القضايا التي يتجمع لها الناس في جاهلياتها ، قضية قومية مثلا لطرد الاحتلال الفارسي ، والاحتلال الروماني من أطراف الجزيرة العربية ، أو قضية اجتماعية لتقريب الفوارق بين الغني الفاحش في أيدى فئة قليلة من الناس والفقر المدقع الذي يتسربل به أغلبية الناس . أو غير هذه مما يمكن أن يجتمع له الناس في أطوار معينة من أطوار الحضارات الجاهلية ، ولكن العصبية القبلية والثارات الدائمة وغارات السلب والنهب ، واشتغال

---

(١) سورة الحج ، آية : ٧٣ .

كل قبيلة بشئونها الخاصة جعل التجمع حتي على هذه القضايا الأرضية البحتة أمرا لا يخطر في بال قبيلة من القبائل حتى في فرصة التجمع السنوي في موسم الحج .

من هنالك انتشلهم الإسلام ، لا ليكونوا تجمعا قوميا ، ولا ليكونوا تجمعا وطنيا تحت قيادة زعيم منهم ، ليكون منهم دولة موحدة ذات كيان وحدود ، ولكن لينشىء منهم أمة العقيدة التي استحقت من الله وصفها بهذا الوصف العظيم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (١) .

والذى يلحظ النقلة الهائلة التي انتقلها العرب من شتاتهم المتناثر ليكونوا خير أمة أخرجت للناس ، لابد أن يأخذه العجب من هذا التحول الهائل في فترة من عمر الزمن كأنها لحظات .

إن العقيدة الإسلامية هي أعلى ما يمكن أن تقوم عليه وحدة المسلمين ، فهي الوشيجة الحقيقية التي تقوم عليها الأمة الحقيقية ... الأمة الخيرة .. ثم تنضوي تحتها كل العلاقات الأخرى ، علاقات الأرض واللغة والجنس وقرابة الدم ، فتكون هذه روافد إضافية إذا وجدت ولكنها لا تكون هي التي تكوّن الأمة – ولو اجتمعت كلها – في غياب العقيدة ، بينما تكون العقيدة وحدها – ولو غابت الروابط الأخرى كلها – هي الرباط الذي تتكون حوله أمة تتآخى بأخوة العقيدة وتترابط برباط الإيمان ، فتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (٢) والمؤمنون بهذه العقيدة كالجسد الواحد ، إذا اشتكي

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(٢) سورة الصف ، آية : ٤ .

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، يقول الرسول الكريم ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمي والسهر** » (١) .

وروى النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « **إنما مثل المؤمنين في تواصلهم وتراحمهم وماجعل الله فيهم من البركة ، كمثل الجسد إذا وجع تداعى سائر جسده بالسهر والحمى** » (٢) .

تلك هي الوشيجة التي نبه القرآن في أكثر من موضع على أنها هي المعتبرة ، وهي المُعَوَّل عليها ، والتي تفصم الروابط الأخري وتبقي هي لا تنفصم . فقد جاء في قصة نوح - عليه وعلي رسولنا أفضل الصلاة والسلام - قوله - جل شأنه - : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (٣) .

ولقد دعا نوح ابنه - وكان في معزل - ليركب في السفينة الناجية ، فأبي !! فأدركه الطوفان » .

فلما قضي الأمر واستوت السفينة على الأرض وقد نجا من نجا ، وهلك

---

(١) متفق عليه ، انظر : صحيح البخاري ، ج ١٢ ص ٤٦ ، ببعض الاختلاف في اللفظ . وصحيح مسلم ج ١٦ ، ص ١٤٠ بهذا اللفظ ، وأخرجه أحمد في مسنده ، ج ٤ ص ٢٧٠ وراجع رقم ٤٠ ، ٤١ ، من أمثال الرامهرمزى .

(٢) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٦٢/٢ ، ٧٤) وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي ، ص ٢٣٧ ، برقم ٣٥٠ .

(٣) سورة هود ، الآيات : ٤٥ - ٤٧ .

من هلك ، ملأت الحسرة قلب نوح على ولده الهالك ، وراح يسأل ربه كيف غرق وهو من أهله ، وقد وعده الله أن ينجو أهله ، ووعد الله حق لاريب فيه ؟!

هنا ينبه الله – سبحانه وتعالى – أن الوشيجة الحقيقية ليست وشيجة الدم .. إنما هي وشيجة العقيدة .. ﴿ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ وقد انفصمت وشيجة العقيدة حيث أبى الابن أن يؤمن ، فانفصمت لها كل وشيجة أخرى ، ولم يعد ابن نوح من أهله ، مع أنه ابنه كما يؤكد القرآن باللفظ الصريح ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُ ﴾ .

إذًا العبرة بأهلية الدين لا بأهلية القرابة ، (والغير) في قوله : ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ عائد على ابن نوح – عليه السلام – أي : أنه ذو عمل غير صالح ، أو أنه لما انغمس في المعاصي كان كأنه عمل غير صالح ، من باب وصف الأشخاص بالمصادر مبالغة كما يقال : زيد عدل [1] .

وفى قصة إبراهيم – عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام – جاء قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [2]

وجاء خطاب الله تعالى للمؤمنين كافة إلى يوم القيامة ناهيا لهم من أن يركنوا إلى قرابة الدم ويتركوا محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله ، وينذر الذين يخلون بالموازين الربانية بالعذاب الأليم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٣١٠ ، مكتبة الجمهورية العربية ، وانظر : تفسير المنار ، للشيخ محمد رشيد رضا ج ١٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ طبعة الهيئة العامة للكتاب .

(٢) سورة الممتحنة ، آية : ٤ .

ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١) .

ولكن ما أثر هذه العقيدة في وحدة المسلمين ؟؟

هذا السؤال لا بد أن يطرح هنا لأننا بصدد الحديث عن مقومات الوحدة الإسلامية ، ولأنني ذكرت أن العقيدة هي الأساس الأول في بناء وحدة المسلمين الشامخة .

ولبيان ذلك أقول : إن أثر العقيدة في وحدة المسلمين يتلخص في الآتي :-

(١) وحدة الفكر :

إن وحدة الفكر من أهم وسائل توحيد المسلمين ، لأن الأمة التي تفكر بطريقة واحدة ، وتوجه تفكيرها عقيدة واحدة ، لابد أن تكون غايتها واحدة ، والفكر هو أهم جوانب الإنسان ، فالإنسان ليس إنسانا بجسمه ، ولا هو إنسان بهيئته وشكله ولكنه في الحقيقة إنسان بعقله وفكره .

إن وحدة الفكر في الأمة تعطي انطباعا واضحا عن وحدة الهدف الذي تسعى لتحقيقه ، وهذه الأمة هي التي دعا إليها الإسلام في قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٥٢ .

وليس المراد بوحدة الفكر هنا المساواة بين أفراد الأمة في درجة الإدراك والوعي ، وليس المراد بها أن يكون المستوى الفكري لأفراد الأمة واحداً لأن ذلك يستحيل تحقيقه في مجموعة صغيرة من الناس ، فكيف يتحقق في أمة كاملة .

وإنما المراد بوحدة الفكر في الأمة هو وحدة المبادىء الأساسية للأمة في صورة واضحة لكل فرد من أفراد الأمة .

(٢) المحبة :

مما هو معلوم أن العقيدة تؤلف بين القلوب ، وتشد المؤمنين بعضهم إلى بعض فتجعلهم يدا واحدة ، وتعلمهم كيف يضحي الفرد في سبيل الجماعة ، وكيف يقدم حاجة أخيه على حاجته .

إن هذا النوع من المحبة هو جزء لا يتجزأ من حقيقة الإيمان ، وهو الذي لا يتم إيمان المؤمن إلا به ، بل هو الذي قال فيه الرسول ﷺ : **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** [١] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ : **« والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »** [٢] .

إنَّ المحبة القائمة على أساس من العقيدة هي التي تبقى ، ولها

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، وهو حديث متفق عليه رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ومسلم في صحيحه برقم ٤٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم ٥٤ ، وأورده النووي في رياض الصالحين ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

أثرها الكبير في وحدة المسلمين ، ومن أجل هذا كان ثوابها عظيما وأجرها كبيرا ، كما ورد ذلك في كثير من الأحاديث الصحيحة ، منها ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي** »[١] وعن معاذ - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر**[٢] **من نور يغبطهم النبيون والشهداء** »[٣] وعن أبي إدريس الخولاني قال : جئت إلى معاذ ابن جبل من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إني لأحبك لله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، فقال : آلله ؟ فقلت : الله ، فأخذني بحبوة ردائي ، فجبذني إليه ، فقال : أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتباذلين فيّ** »[٤] وقال : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » متفق عليه ، البخارى (٥٣/١) ومسلم برقم (٤٥) .

(٣) التعـاون :

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[٦] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٦٦ .
(٢) أي : يجلسون عليها ، والغبطة : تمني مثل ما للغير من الخير .
(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح برقم ٢٣٩١ .
(٤) رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح ج ٢ ص ٩٥٣ وصححه ابن حبان برقم ٢٥١٠ ، والحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي ، وقال ابن عبد البر : إسناده صحيح .
(٥) سورة المائدة ، الآية : ٢ .
(٦) سورة العصر ، الآيات : ١ : ٣ .

إن العقيدة الإسلامية هى المحرك الرئيسي للتعاون بين المسلمين لأنهم يشعرون بقيمة التعاون وما يحققه لهم من الفوائد الكبيرة الملموسة لكل من يتعاون مع إخوانه .

والتعاون بين المسلمين ليس مقصورا عليهم فحسب ، وإنما هو يشمل غير المسلمين ممن يعايشونهم ويتعاملون معهم ، لهذا لم يَنْهَ الله المسلمين عن بر غير المسلمين والعدل معهم ، قال – جل شأنه –: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

ثانيا : العبادة :

ومن مقومات الوحدة بين المسلمين جميع العبادات : من صلاة وصيام وحج وزكاة ، وأوضح مثال عملي على توحيد المسلمين يتجلى في الحج إلى بيت الله الحرام .

فالرجل الذي لم ير في حياته هنديا ، ولا صينيا ولم يعرف روسيا ولا تركيا ، ولم يعامل صوماليا ، ولا سنغاليا ، كيف نطالبه بأن يفكر في كل هؤلاء وأمثالهم وأن يهتم بشئونهم وشئون أقوامهم ؟؟

ألا فقد أبطل الإسلام هذه الحجة ، وأغلق الباب أمام هذا الاعتذار ، إذ لم يكتف بتقرير هذه الحقائق النظرية ، ولكنه وضع إلى جانبها نظاما دقيقا إلزاميا ، وهيأ لتحقيقها فرصة عملية سنوية يجمع بها العالم الإسلامي مركزًا في بقعة واحدة من الأرض .

---

(١) سورة الممتحنة ، آية : ٨ ، وانظر : قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، د. محمد السيد الوكيل ، الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ص ٢٦ فما بعدها .

أتدري ما هذه البقعة ؟ إنها المحور الذي تلتف حوله أقطار الإسلام على بعد متناسب من كل جانب ، إنها القطب المغناطيسي الروحي الذي تنجذب إليه أفئدة المؤمنين من كل فج عميق ، إنها الكعبة ، البيت الحرام ، ومكة البلد الحرام ، ومنى وعرفة ، عتبة باب الحرم ، ذلكم هو مهد الإسلام في طفولته ، ومبعث نشاطه في فُتُوَّتِهِ ، جعل الله الورود إلى هذا المنهل الأول فريضة حتما على كل مسلم يستطيع إليه سبيلا ولو مرة في حياته . وتتجمع الوفود الإسلامية هنالك في كل عام في وقت واحد في صعيد واحد بل في زي واحد ، وينشدون جميعا نشيدا روحيا واحدا ، تردده معهم الجبال ، والآكام ، فتتجاوب أصداؤه في قلوبهم ، وتنصهر نفوسهم حتى تعود سبيكة واحدة في بوتقة الشعور المشترك ، والوجدان الموحد ، تلك هي تجربة الوحدة الروحية ، تكملها وتتوجها تجربة الوحدة الاجتماعية ، ذلك أن الإسلام لم يجعل الحج عبادة وحسب ، ولكنه جعله في الوقت نفسه قياما للناس وموسما لتبادل مصالحهم ، في مختلف وجوهها وأنواعها ، بل إنه لأمر ما جعل هذه قبل تلك في معرض بيانه للغاية المنشودة من رحلة الحج ، ألا تسمع إلى قول الباري – جل شأنه – : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ (١) ما أعجب هذه الكلمة ، ما أوجزها ، وما أجمعها ، إنها لتتناول شئون الاقتصاد والسياسة ، والحرب والقانون ، والعرق واللغة والآداب والعلوم ، وسائر مقومات الحياة الجماعية التي تتأثر أعظم التأثر بهذا الاتصال والتلاقي ، كما تتأثر السوائل بتلاقيها في الأواني المستطرقة فتأخذ في التوازن والتعادل طلبا للوصول إلى مستوى واحد (٢) . إنه – تطبيقا للوحدة الإسلامية وتبادل المنافع بين المسلمين – كان من واجبات الحج بعد أداء مراسمه أن يخلع الناس ثياب

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٨ .

(٢) نخبة الأزهار وروضة الأفكار ، د. محمد عبد الله دراز ، ص ٢٠٤ ، ط ١١ ، قطر .

عبادتهم المتقشفة وأن يمكثوا هنالك فترة يعودون فيها إلى مجرى حياتهم العادية متكشفا كل منهم عن زيه ومهنته وجنسه ولهجته ؛ ليتعاملوا ويتشاوروا ويتعاونوا وهم في أوضاعهم الطبيعية ، حتى تبرز بينهم صورة هذه الرحلة الإسلامية المختلفة المظهر المؤتلفة الجوهر .

هل فقه الناس إذن مغزي هذه الشريعة ؟؟ وهل أدركوا أن تكرار هذه التجربة كل عام في شكل مصغر ، إنما هو دعوة إلى تجربة أمثالها كُلَّ آنٍ في نطاق أوسع ، وعلي مقياس حقيقي مكبر ؟؟

ولكن هل يظل المسلمون في مواسم حجهم قانعين بهذا الموقف السلبي الذي لا يعمل فيه إلا العقل الباطن البطيء الفاتر ؟؟ أليس يجب أن يتقدموا خطوة إيجابية توضع فيها الخطط المفصلة لهذه الوحدة الإسلامية الشاملة ؟ بلي !! لقد آن للأمم الإسلامية أن تخرج من سجن هذه الفرديات المنعزلة ، والقوميات المنفصلة إلي محيط الجماعة الكبرى التي يرون منها نموذجًا مصغرا في هذه الرحلة المقدسة ، فقهنا الله في أسرار شريعته وأدبنا بآدابها .. آمين .

ثالثا : جانب الأخلاق :

ومن مقومات الوحدة بين المسلمين الأخلاق ، وهذا الجانب يغفل عنه الكثير من المصلحين ومن الدعاة .. مع أنه في ميزان الإسلام يقف إلى جانب العقيدة .. ليقيم الأساس وكيف لا .. والرسول ﷺ يجعلها غاية لابتعاثه : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » (١) وقد ظل الرسول ﷺ يربي المسلمين عليها مع العقيدة أكثر من نصف حياته « الرسالية » وبالأخلاق انتشرت دعوة الإسلام في أكثر من نصف الأرض

(١) رواه مالك في الموطأ : (باب حسن الخلق) ج ٢ ص ٩٠٤ .

التي فتحها الله على المسلمين ؛ لما رأى الناس من أخلاق تجار المسلمين في معاملاتهم .

وقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ، فلقد ترك القرآن الكريم أثراً عظيما من التربية في قلب الرسول ﷺ أولا ، ثم في قلوب صحابته ثانيا ، ولقد وصفته السيدة عائشة – رضي الله عنها – بأكمل وصف وأدقه حيث قالت : « **كان خلقه القرآن** »[1] أي : كان متخلقا بتعاليم القرآن السامية في جميع شئونه ، في حله وترحاله ، في سلمه وحربه ، أي : كان نموذجا حيا للأخلاق يمشي على الأرض وتراه الأعين ، فمن ثم لا تعجب من تلك الأخلاق السامية والشمائل العالية التي سادت العصر النبوي خاصة ؛ لأن الجميع آنذاك كان يفهم القرآن ويتدبره في شخص الرسول ﷺ وكان بهذا الخلق الشريف أكرم خلق الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3] .

وأمرنا الله تعالى أن نقتدي بهذا الرسول في خلقه العظيم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴾[4] .

ولئن اختلفت مذاهب العالم في الأخلاق واختلفت فيها اهتماماتهم ، فإن السمة الواضحة فى هذه المذاهب وتلك الاهتمامات أنهم لا يضعونها في المنزلة التي يضعها الإسلام أساسا مع العقيدة للبناء كله .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٥١٣ .
(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .
(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

ثم هي عندهم ليست نابعة عن عقيدة ، ولا متصلة بعبادة ، بينما هي في الإسلام كذلك [١] .

فأما نبعها من العقيدة فالأمثلة على ذلك كثيرة وأذكر بعضها :

عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **« يا أبا ذر إذا طبخت مرقة [٢] فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك »** [٣] وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : **« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن !! قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه »** متفق عليه [٤] وقال ﷺ : **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت »** متفق عليه [٥] .

وقوله : « أو ليسكت » قال الشافعي – رضي الله عنه – : « لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به ، فإذا ظهر له أنه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة ، ولا يجر إلى كلام محرم أو مكروه أتى به » [٦] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٢١٩ ، د. علي محمد جريشة ، ومحمد شريف ، دار الاعتصام ، ط ١ .

(٢) أي : ذا مرق من لحم ودجاج ونحوهما .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ، ص ٢٠٢ ، رقم حديث الباب (١٤٢) و (١٤٣) .

(٤) انظر صحيح البخاري ج ١٠ ص ٣٧٠ ، ٣٧١ ، وصحيح مسلم برقم (٤٦) .

(٥) البخاري ج ١٠ ص ٣٧٣ ، ومسلم برقم (٤٧) ، وأخرجه أبو داود برقم (٥١٥٤) ، والترمذي برقم (٢٥٠٠) .

(٦) انظر هامش رياض الصالحين للنووي ص ١٧٣ .

ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ * وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ (١) وأما اتصالها بالعبادة فإن إتيانها نفسه والاستمساك بها عبادة .

يقول الرسول الكريم ﷺ : « **إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم** » (٢) وعن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » قالوا : يارسول الله قد علمنا : « الثرثارون والمتشدقون » فما المتفيهقون ؟ قال : « **المتكبرون** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن (٣) وقال ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح (٤) وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : « **تقوى الله وحسن الخلق** » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « **الفم الفرج** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح (٥) وقال ﷺ :

---

(١) سورة الرعد : ٢٠ – ٢٢ .

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم ٤٧٩٨ وصححه ابن حبان برقم ١٩٢٧ والحاكم ٦/١ ، والخرائطي ص ٩ .

(٣) الترمذي برقم (٢٠١٩) وأخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، وصححه ابن حبان برقم (١٩١٧) وعن أبي هريرة عند أحمد ج ٢ ص ٣٦٩ .

(٤) الترمذي برقم (١١٦٢) وأخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٥٠ ، ٤٧٢ وسنده حسن وصححه ابن حبان برقم (١٣١١) والحاكم في مستدركه ج ١ ص ٣ وله شاهد من حديث عائشة عند أحمد ج ٦ ص ٤٧ والترمذي برقم (٢٦١٥) والحاكم ٥٣/١ بلفظ : « إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

(٥) الترمذي برقم (٢٠٠٥) وأخرجه أحمد ج ٢ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٤٤٢ وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وإسناده حسن ، وصححه ابن حبان برقم (١٩٢٣) .

« ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق » (١) الحديث .

ثم إنها بعد ذلك تزكو بالعبادة وتربو ..

فالصلاة من بين غايتها تنمية النظام ، والطاعة والطهر والنظافة والعفة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٢) وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا »** (٣) متفق عليه . وأداؤها في جماعة ينمي روح التعاون والتراحم والود والألفة والوحدة بين المسلمين .

وكذلك الصيام يزكي خلق الصبر ، والاحتمال ، والإحساس بالفقير والعطف عليه ، وينمي في الوقت نفسه مراقبة الله في السر كمراقبته في العلانية ، مما يولد التقوى ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

والزكاة تطهير للنفس من شحها ، وتطهير للمجتمع من الأحقاد ، وتزكية لأخوة الإسلام والمحبة في الله بين الغني والفقير ، قال تعالى :

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٣) و (٢٠٠٤) وفي سنده يعلى بن مملك لم يوثقه غير ابن حبان ، ولكن أخرج الشطر منه أحمد ج ٦ ص ٤٤٢ و ٤٤٨ وأبو داود برقم (٤٧٩٩) من طريق آخر وسنده صحيح ، وصححه ابن حبان برقم (١٩٢١) وأحمد ٢٠٢/٥ وصححه ابن حبان برقم (١٩٧٤) فالحديث صحيح .

(٢) سورة العنكبوت ،الآية : ٤٥ .

(٣) انظر صحيح البخاري ج ٢ ص ٩ وصحيح مسلم برقم (٦٦٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (١) .

أما الحج فقد تكلمت عنه فيما مضى وبينت أن فيه تطهرا من الرفث والفسوق والجدال ، وفيه تنمية لروابط الأخوة بين المسلمين ، وتزكية للوحدة على الله الواحد والقبلة الواحدة والغاية الواحدة (٢) .

رابعا : الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ :

ويعتبر التمسك بكتاب الله تعالى وسنة النبي – عليه الصلاة والسلام – من أهم مقومات الوحدة بين المسلمين ، والقرآن والسنة يشملان كل المقومات التي ذكرتها والتي لم أذكرها ؛ لأنه لا سبيل لخلاص المسلمين مما هم فيه من تمزق وتشتت إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة ، يقول النبي الكريم ﷺ : « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمكستم بهما كتاب الله وسنة نبيه** » ﷺ ... الحديث (٣) .

* * *

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٢٢١ .

(٣) رواه مالك في الموطأ : « باب النهي عن القول بالقدر » ج ٢ ص ٢٠٨ .

الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الإسلامية

إن الوحدة الإسلامية هى الطريق الأمثل لعلاج كثير من مشكلاتنا المعاصرة ، وسوف تحقق هذه الوحدة المنشودة حينما يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمعات الإسلامية ، في كل الميادين ، وكل المجالات مادية ومعنوية ، ويلزم ذلك أن تكون عقيدة المجتمعات إسلامية وأن تكون مشاعر ونزعات الشعوب وأخلاقها إسلامية ، وتربيتها وتقاليدها إسلامية ، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث منفرد ، وحسبنا هنا أن نشير إلى أهم معالم هذه الوحدة في ضوء تعاليم الإسلام ، كما ذكرها الدكتور / يوسف القرضاوي [1] :

(١) إحياء المعاني الربانية : من الإيمان بالله وتوحيده ومعرفة أسمائه الحسني وصفاته العلا ، والإيمان برسالته ، والجزاء الأخروي ، باعتبارها أهداف الحياة العليا ، وغايات الوجود الإنساني ، والعمل على دعمها وتثبيتها وحمايتها ومحاربة نزعات الإلحاد والشك والشرك بكل صوره وألوانه .

(٢) تربية الأمة على معاني التقوى لله والإخلاص له ، والثقة به ، والتوكل عليه ، وغرس الإحساس الدائم برقابة الله على كل أعمال الإنسان ، واطلاعه على سره ونجواه .

(٣) تثبيت القيم الأخلاقية الأصيلة التي توارثتها الأمة جيلا عن جيل مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ الذي بعثه الله ليتمم

---

(١) انظر : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، ص ٣٨ فما بعدها ، طبعة ثالثة ، ربيع ١٣٩٧ هـ ، سنة ١٩٧٧ م .

مكارم الأخلاق ، وإزالة ما تراكم عليها من رواسب عصور التخلف ، وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى قديما وحديثا .

(٤) الاعتزاز برسالة الإسلام ، بوصفه عقيدة وشريعة وحضارة ، ونظام حياة ، أودع الله فيه الكمال والشمول والتوازن والوضوح والعمق ، وغرس هذا الاعتزاز في ضمائر الجميع صغارا وكبارا ، بحيث لا يزاحمه نظام أو مذهب آخر للحياة ولا يزاحمه كذلك وطن ، أو قومية ، أو نعرة من النعرات ، فدين المسلم أغلى ما يعتز به ويحرص عليه ، وفي سبيله يضحي بكل ما يغالي به الناس من وطن وأهل ونفس ونفيس ، ورحم الله القائل :

أَبِي الإسلامُ لا أب لي سواه إذا افتخروا بِقَيْسٍ أو تميمِ

(٥) المحافظة على شعائر الإسلام ، وبخاصة عباداته الكبري ، التي تمثل الأركان العملية كما بينها رسولنا الكريم ﷺ من الصلاة والزكاة والصيام وحج بيت الله الحرام ، وتربية جميع أفراد المسلمين على احترامها وتوقيرها ؛ فإن هذه العبادات والشعائر – مع أنها غاية في نفسها – تعد من أعظم الوسائل التربوية لتكوين الأنفس المؤمنة ، والأخلاق الفاضلة .

(٦) إحياء رسالة المسجد حتى يعود إلى سالف عهده : مركزَ هدايةٍ وإصلاح ، جامعا للعبادة ومدرسة للثقافة ، ومعهدا للتربية ، وندوةً للتعاون وبرلمانا للتشاور [1] .

(٧) مقاومة البدع والأباطيل التي ألصقت بالدين – على مر القرون – وليست منه ، سواء كانت في مجال العقائد أم العبادات ، أم

---

(١) انظر : العبادة في الإسلام ص ٢٢٢ – ٢٢٤ ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة بيروت – طبعة رابعة .

التقاليد [١] . والرجوع بالإسلام إلى وضوحه وبساطته وصفائه ، والذي كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان من أهل القرون الأولى ، الذين هم أحسن القرون بشهادة الرسول ﷺ .

(٨) أن يكون التعليم لجميع الأطفال – ذكورا وإناثا ، في كل سن التعليم – إلزاميا ، وأن تزال كل المعوقات من طريقه ، وأن توضع خطة مدروسة لمحو الأمية المنتشرة في العالم الإسلامي ، وأن يشمل التعليم كافة المجالات النظرية والعملية الدينية والدنيوية ، الأدبية ، و« التكنولوجية » وتدريس الإسلام مادة أساسية في جميع المراحل ومختلف أنواع التعليم ، وأن توجه العناية في دراسته إلى المبادئ والأصول التي من شأنها العمل على وحدة المسلمين ، ويجب إعادة النظر في مناهج التعليم في كل المراحل ، وتوجيه عناية خاصة إلى العلوم الإنسانية : (التاريخ وعلوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد ونحوها) لما تحتوي عليه من كثير من الأفكار المناوئة للإسلام .

(٩) يجب أن توضع للبلاد الإسلامية خطة لنظام ثقافي إسلامي موحد غير مزدوج الروح والمصدر ، بحيث ينشيء عقلية واحدة لكل أبناء الأمة ، هى العقلية الإسلامية [٢] .

(١٠) أن تكون شريعة الله – تعالي – في جميع بلدان المسلمين هي العليا ، ولا تكون كذلك إلا حين لا تكون معها شريعة أخرى ، ولا تكون فوقها شريعة أخرى ، وأن تمتد الشريعة إلى كل المجالات وتشمل جميع الأنشطة .

---

(١) انظر في ذلك : الاعتصام للشاطبي ، والحوادث والبدع والنهي عنها : « والمدخل لابن الحاج » و « الإبداع في مضار الابتداع » للشيخ علي محفوظ ، وليس من الإسلام للشيخ محمد الغزالي .

(٢) انظر : كتاب الفكر الإسلامي المعاصر : محمد المبارك ، فصل (المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي) ص ١٣١ وما بعدها .

ولقد حرص القرآن على التنويه بجعل شريعة الله هى العليا فى أكثر من موضع ، فقوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾ [١] وقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [٢] . الآية الأولى تعني : لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، أي : لا يكن لكم رأي ولا شرع ولا نظام فوق شرع الله ورسوله .. وهو ما بيناه بأن تكون شريعة الله هى العليا ، أما الثانية فهي تحرم رفع الصوت فوق صوت النبي .

وليس من المعقول أن يحرم رفع الصوت ماديا فوق صوت النبي ، ويجوز رفعه معنويا بجعل شرع أو رأي فوق شرع النبي ﷺ بل يمكن أن نقول : إن كل عمل مخالف لما جاء به هذا الرسول الكريم ﷺ - يعتبر مخالفاً لأمر الله تعالى الذي جعل طاعة رسوله من طاعته ، كما قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [٤] .

ومن هنا كان لابد لتحقيق الوحدة الإسلامية أن تكون الشريعة الإسلامية هى العليا لا شريعة معها ، ولا شريعة فوقها .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

(٢) سورة الحجرات ، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٨٠ .

(٤) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

(١١) أن تربى هذه الأمة على أنها أمة واحدة تهدي إلى الحق ، وتعدل بين الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وبقاعهم ، قال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) .

وهذه الأمة التي جعل الله لها الخيرية على سائر الأمم جعلها بحقها وشروطها ، وهي إن قامت فيها هذه الشروط كتب الله لها الخلود .

لقد بقيت الأمة الإسلامية رغم المحن والأزمات ، ورغم تقلبات الحكم والحاكم بقيت – بحمد الله – حافظة لكتاب الله محفوظة بعناية الله ، حتى لقد صح ما قاله أحد الأئمة من أن العصمة في الإسلام للأمة لا للإمام ، وصح أن تقول : إن الأمة الإسلامية كانت بعد الكتاب العزيز من أكبر آيات الله العزيز الحميد فلو أن أمة أخري تعرضت لما تعرضت له الأمة الإسلامية من كيد وبطش وعسف لما كان لها اليوم وجود (٢) .

والأمة الإسلامية وإن كانت اليوم تبدو مفككة ضعيفة ، فإنها تحمل عناصر الابتعاث .

وهي في ابتعاثها لا تحتاج إلي وقت طويل ، وقد أدرك ذلك بعض المستشرقين فقاله وحذر منه .

ومن سمات هذه الأمة التي تؤكد وحدتها في نهاية المطاف – إن شاء الله – ما يأتي :

فهي أولا : آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر :

ولا يمكن أن تأمر بمعروف ولا تأتيه ، أو أن تنهي عن منكر

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٨١ .

(٢) انظر : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٢٤٤ وسراج الملوك للعلامة أبي بكر محمد بن الوليد طبعة سنة ١٣١١ هـ وهامش مقدمة ابن خلدون ص ٦٦ .

وتأتيه ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه ، فأمرها ونهيها يعني أنها تقيم هذا المعروف وتلفظ المنكر .

وهي ثانيا : تؤمن بالله :

وإيمانها بالله يعني أنها تقوم على التوحيد ، ولا تقارب بين توحيد وشرك .

وهي ثالثا : تقوم مع التوحيد على الوحدة :

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) وهذه الجنسيات وهذه الحدود دخيلة عليها .. ليست من أمر الله في شيء ، والأمة الواحدة هي التي انتصرت من قبل .

ولقد رفض رسول الله ﷺ عصبية الجاهلية ، وقال : « دعوها فإنها منتنة » ورفض المناداة بالعصبية بين الأنصار والمهاجرين حين نادى أحدهم : يا للأنصار ، ونادى الآخر : يا للمهاجرين !! فغضب رسول الله ﷺ عليه غضبا شديدا وقال : « **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟!!** » (٢) .

ونزل القرآن الكريم يؤكد قول الرسول ﷺ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٩٢ .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ١ ص ٤٣١ ، المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٢٤٣ لابن عطية الأندلسي ، الطبعة الأولى رجب ١٤٠٢ هـ / مايو ١٩٨٢ م ، الدوحة ، قطر .

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٠٠ ، ١٠١ .

وهكذا كانت الفرقة والجنسيات والحدود .. جاهلية أو كفراً .

وكانت الوحدة أخت الإيمان : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا ﴾ (١) .

وامتدح الرباط الذي وحد الأمة في كتابه ، فقال عن المهاجرين : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ (٢) .

وقال – تعالى – عن الأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٣) .

وهكذا قامت دولة الإسلام الأولى تضم كل من قال : لا إله إلا الله ، بغير تفرقة لوطن أو جنس ، وبغير اعتراف بحدود أو جنسية .

وإن شاء الله سوف تقوم هذه الدولة الواحدة لتجمع أمة الإسلام تحت راية القرآن الكريم وسنة محمد بن عبد الله ﷺ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين – وصلى الله على نبيه وآله وصحبه وسلم .

* * *

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٢) سورة الحشر ، آية : ٨ .
(٣) سورة الحشر ، آية : ٩ .

أهم المصادر والمراجع

١ - زاد المسير فى علم التفسير : للإمام ابن الجوزى ، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٢ - المسند : للإمام أحمد ، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٥ هـ .

٣ - سنن الترمذى ، ط الحلبى ١٣٩٨ هـ .

٤ - المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابورى ، ط حيدر أباد . الدكن . الهند ١٣٤١ هـ .

٥ - صحيح الجامع الصغير : للألباني . المكتب الإسلامي . بيروت ١٤٠٢ هـ .

٦ - بحوث فى أصول التفسير : د/ محمد لطفى الصباغ . المكتب الإسلامي ١٤٠٨ هـ .

٧ - حياة محمد : محمد حسين هيكل ، ط مكتبة النهضة المصرية .

٨ - السيرة النبوية : السيد أبو الحسن الندوى ، ط دار إحياء التراث الإسلامي .

٩ - صحيح البخارى بشرحه فتح البارى ، ط السلفية .

١٠ - سنن أبى داود ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

١١ - تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت .

١٢ - الكامل : لابن الأثير ، ط المطبعة الأزهرية ١٣٠١ هـ .

١٣ - السيرة النبوية : لابن هشام ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ط الحلبى ١٣٤٨ هـ .

١٤ - الفصل : لابن حزم ، ط القاهرة ١٩٢٨ م

١٥ - فرق الشيعة : للنوبختى ١٣٣٥ هـ .

١٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمى ، ط ١٤٠٢ هـ دار الكتاب العربى / بيروت .

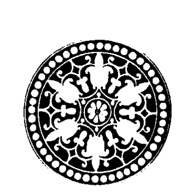
١٧ - المقدمة : لابن خلدون ، ط لجنة البيان العربى ، بيروت .
١٨ - تاريخ عمر : لابن الجوزى ، ط دار الفكر العربى ، بيروت .
١٩ - الدعوة إلى الإسلام : أرنولد ، ط القاهرة ١٩٤٧ م .
٢٠ - الأحكام السلطانية : للماوردى ، مطبعة الوطن بمصر ١٢٩٨ هـ .
٢١ - تاريخ الطبرى ، طبعة ١٩٠١ م .
٢٢ - المصباح المنير : للفيومى ، ط القاهرة .
٢٣ - فتوح البلدان : للبلاذرى ، شركة طبع الكتب العربية مصر ١٣١٩ هـ .
٢٤ - الخراج : لأبى يوسف ، ط المكتبة السلفية ، القاهرة ١٩٥٢ م .
٢٥ - أنساب الأشراف : للبلاذرى .
٢٦ - العقد الفريد : لابن عبد ربه ، ط الاستقامة ١٩٤٠ م .
٢٧ - الإمامة والسياسة : لابن قتيبة ، ط ١٣٢٢ هـ .
٢٨ - عائشة والسياسة : للأستاذ / سعيد الأفغانى ، ط القاهرة ١٣٢٢ هـ .
٢٩ - رسالة فى معاوية والأمويين ، ط القاهرة ١٣٦٥ هـ .
٣٠ - تاريخ اليعقوبى ، ط ١٩٨٣ م .
٣١ - معجم البلدان : لياقوت الحموى ، تحقيق أمين الخانجى ٨ أجزاء القاهرة ١٣٢٣ هـ .
٣٢ - مقاتل الطالبيين : لأبى الفرج الأصفهانى / النجف سنة ١٣٥٥ هـ .
٣٣ - النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية ، تأليف : رياض عيسى ط ١٤٠٦ هـ .
٣٤ - خلافة بنى أمية : نبيه عاقل ، ط دار الفكر / بيروت .

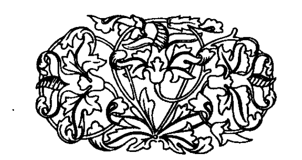
٣٥ – التاريخ السياسي للدولة العربية / بيروت ١٩٦٦ م .
٣٦ – البيان والتبيين للجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون ، ط ١٩٤٨ .
٣٧ – النظم الإسلامية : لحسن إبراهيم وعلى إبراهيم حسن ، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ م .
٣٨ – المدخل فى تاريخ الحضارة العربية : ناجى معروف ، ط بغداد ١٣٧٩ هـ .
٣٩ – الفخرى فى الآداب السلطانية : لمحمد بن على بن محمد بن طباطبا ، المعروف بابن الطلقى ط شركة طبع الكتب العربية بمصر ١٣١٧ هـ .
٤٠ – ذيل مرآة الزمان ، تحقيق دائرة المعارف العثمانية / حيدر أباد ١٣٧٤ هـ .
٤١ – جامع التواريخ (خلفاء جنكيز) ج ٢ : رشيد الدين ، ط نيويورك ١٩٧١ م .
٤٢ – تاريخ المغول والعالم الإسلامي : سقوط الدولة العباسية ، الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامدى ، ط مؤسسة الرسالة .
٤٣ – البداية والنهاية : للإمام ابن كثير ، ط بيروت ١٩٦٧ م .
٤٤ – تراجم رجال القرنين السادس والسابع : أبو شامة ، وعبد الصمد بن إسماعيل / القاهرة ١٣٦٦ هـ .
٤٥ – السلطان عبد الحميد الثانى : حياته وأحداث عهده ، بقلم / أورخان محمد على ، دار الوثائق ، الكويت ١٤٠٧ هـ .
٤٦ – الخطر اليهودي – بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة التونسي .
٤٧ – المشروعية الإسلامية العليا : د/ علي جريشة .
٤٨ – أحجار علي رقعة الشطرنج : وليام غاي كار ، ترجمة سعيد الجزائري .

٤٩ – عوامل ضعف المسلمين : للأستاذ سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني .
٥٠ – العالم الإسلامي – الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي أنور الجندي .
٥١ – الإسلام والخلافة في العصر الحديث ، نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم : الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، مكتبة دار التراث ، شارع الجمهورية / القاهرة .
٥٢ – قواعد البناء في المجتمع الإسلامي : د. محمد السيد الوكيل ، الوفاء للطباعة / ١٤٠٧/١ هـ / ١٩٨٦ م .
٥٣ – عناصر الترابط في المجتمع الإسلامي ، دار الثقافة / الدوحة قطر ، طبعة أولى سنة ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
٥٤ – صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء – الرياض .
٥٥ – الحضارة الغربية : للدكتور محمد محمد حسين .
٥٦ – العالم العربي اليوم : للكاتب الأمريكي ، مورو بيرجر .
٥٧ – قذائف الحق : محمد الغزالي ، طبعة خامسة ، منشورات ذات السلاسل سنة ١٩٨٤ م .
٥٨ – مسلمون وكفي : عبد الكريم الخطيب ، دار الشروق سنة ١٩٨٣ م .
٥٩ – قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامي : د/ زغلول راغب النجار ، طبعة أولي ، كتاب الأمة ، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية / قطر .
٦٠ – الحل الإسلامي فريضة وضرورة : د/ يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، بالقاهرة . الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧ هـ / أبريل ١٩٧٧ م .

٦١ – واقعنا المعاصر : محمد قطب ، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر .
٦٢ – تاريخ أصبهان : الإمام أبو نعيم الأصبهاني .
٦٣ – كتاب الأمثال في الحديث النبوي : أبو الشيخ الأصبهاني .
٦٤ – تفسير البيضاوي ، مكتبة الجمهورية العربية .
٦٥ – رياض الصالحين : الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
٦٦ – موطأ الإمام مالك ، دار النفائس ، الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ بيروت .
٦٧ – أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د/ علي محمد جريشة ، ومحمد شريف ، دار الاعتصام ، طبعة أولي .
٦٨ – العبادة في الإسلام : د/ يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، طبعة رابعة .
٦٩ – سراج الملوك : للعلامة أبي بكر محمد بن الوليد ، طبعة سنة ١٣١١ هـ .
٧٠ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : الإمام ابن عطية الأندلسي : الطبعة الأولي : رجب ١٤٠٢ هـ / مايو ١٩٨٢ م الدوحة – قطر .

* * *



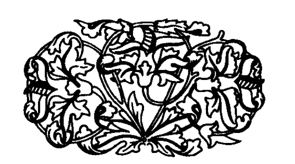


القسم الثاني

الأخوة الدينية والوحدة الإسلامية

بقلم

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح
جامعة الأزهر - كلية أصول الدين
وجامعة قطر - كلية الشريعة



مدخــــل :

الإسلام الحنيف جاء ليربط المسلمين جميعاً برباط هو أوثق الروابط ، وهو رباط الأخوة التي تزول معها جميع الفوارق من نسب عريق ، ومال وفير ، وجاه عريض ، إلى غير ذلك مما درج الناس على اعتباره من المميزات والفوارق بين الناس .

فأي إنسان مهما كان عريق النسب ، أو كثير المال ، أو كان له شأن في بيئته . فهو أخ لمن دونه نسباً ، وشقيق لمن هو أقل منه مالاً ، وأحط شأناً في المنزلة الاجتماعية (١) .

ولقد كانت دعوة محمد ﷺ دعوة إلى الناس كافة ، مهما تختلف أرضهم وأجناسهم ، وألوانهم ، وأوائل من أجابوا الدعوة تتلاقي فيهم عناصر مختلفة (٢) .

روى الإمام أحمد أن أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ وخديجة ، وأبو بكر ، وبلال ، وعمار ، وأمه سمية ، والمقداد ابن الأسود (٣) .

وليست رواية الإمام أحمد في بيان أول الناس إسلاماً ، وإنما فى بيان من أظهروا الإسلام (٤) يقول رسول الله ﷺ : « **أنا سابق**

---

(١) انظر الشيخ سيد سابق : عناصر القوة في الإسلام ، ص ١٨١ ط دار الكتاب العربي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٢) انظر الشيخ محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، من بحوث المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية ص ٤٩ ط. مجمع البحوث بالأزهر ١٣٩١ هـ .

(٣) رواه أحمد في كتابه « المسند » الجزء الأول ص ٤٠٤ .

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة ، الوحدة الإسلامية ، ص ٤٩ .

العرب إلى الجنة ، وصهيب سابق الروم إلى الجنة ، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة ، وسلمان سابق الفرس إلى الجنة » (١) .

والمجتمع الإسلامي الأول كان يكوِّن وحدة مؤتلفة ، متنوعة ، ففى هذا المجتمع ذو النسب ، وفيه الضعيف ، وفيه من اختبرهم الله بالرق ، وإن لم ينل نفوسهم ذلة ، وفيهم الرجال والنساء ، وفيهم العربي والحبشي (٢) . وقد بين الرسول ﷺ نظام المؤاخاة في الإسلام ، وجعل لهذه المؤاخاة قوة أخوة النسب ، وقد بدأ هذا الاتجاه في مكة قبل الهجرة ، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة اتسع نطاق المؤاخاة بين المسلمين (٣) .

قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة ، فآخى الرسول ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال سعد : أخي : أنا أكثر أهل المدينة مالاً . فانظر شطر مالى فخذه . وتحتي امرأتان ، فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك ، فإذا حلت تزوجتها ..

فقال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق ، فدلوه على السوق ، فاشترى وباع ، فربح (٤) .

فها هو سعد بن الربيع – رضى الله عنه – لا يرضى أن يعيش شبعاناً ، وأخوه في الإسلام جائع ، بل لا يكفيه أن يشبعه ويؤويه ، بل يدعوه إلى مشاطرته في ماله ، ومشاركته فيه ، ولا يقبل أن يبيت وله

---

(١) رواه الهيثمي ، في « مجمع الزوائد » ، باب « فضل صهيب وغيره » ، الجزء التاسع ص ٣٠٥ .
(٢) الشيخ محمد أبو زهرة ، الوحدة الإسلامية ، ص ٥٠ .
(٣) راجع : الدكتور أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامية ، الجزء الأول ص ٢٦٩ .
(٤) البخاري مع فتح الباري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي ﷺ ج ٧ ص ١١٢ .

زوجتان ، وأن يبيت أخوه في الإسلام أعزب ليس له زوجة ، فيعرض عليه أن يختار إحداهما ليطلقها فيتزوجها ، فأي شعور أنبل من هذا الشعور ، وأي أخوة أعظم وأصدق من هذه الأخوة ؟ [١] .

ومؤمنو مكة على اختلاف قبائلهم ماعرفنا لهم اسماً في التاريخ إلا المهاجرين . ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسماً في التاريخ إلا الأنصار [٢] . والإسلام لم يكتف بإطلاق اسم المهاجرين على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا إلى المدينة ، ولم يكتف أيضاً بإطلاق اسم الأنصار على قبيلتي الأوس والخزرج ، مع أن إطلاق اسم الأنصار والمهاجرين كان كافياً لإعطاء المعني الإسلامي الدال على الأخوة [٣] .

لم يكتف الإسلام بهذا ، وإنما عمل على كل ما من شأنه أن يدعم مسيرة المسلمين ويأخذ بهم إلى مراقي الفلاح والتقدم ، ولذا نجد رسول الله ﷺ يبدأ في البناء الأخوي الكامل ، ليقيم وحدة المسلمين على أساس أصيل .

قال ابن إسحاق : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال – فيما بلغنا – : « **تآخوا في الله أخوين أخوين** » [٤] .

---

(١) راجع : شريدة عبد الله ، جولة مع الرعيل الأول من أمة الإسلام ص ٣٦ ، ط. الدار السلفية ١٤٠٦ هـ .

(٢) انظر : مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الأول ، ص ١٦ ، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء بالرياض .

(٣) د. أحمد السايح ، فلسفة الحضارة الإسلامية ، ص ٣١ ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، القاهرة .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٥٠٥ ، وابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج ١ ص ٢٤٢ .

لقد بلغ المسلمون الأوائل درجة عليا ، ومكانة عظمى ، في حبهم لبعضهم ، وتكامل أخوتهم ، حتى كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [١] .

ولا يخفى أن قوة الإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ تجعل النفس الإنسانية تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة .

لقد صنع الإيمان وهذا التصديق جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة ، فكانوا يؤثرون إخوانهم بأموالهم وديارهم على أنفسهم ، ويقدمون حاجة إخوانهم على حاجتهم ، حبّاً لهم ، ورغبة في أخوتهم [٢] .

والذين سكنوا المدينة ، وأشربت قلوبهم حب الإيمان قبل هجرة أولئك المهاجرين ، لهم صفات كريمة ، وشيم جليلة ، تدل على كرم النفس ، ونبل الطباع [٣] ، ولذا كانوا يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدأون بالناس قبلهم ، وفي حال احتياجهم إلى ذلك ، وهؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه [٤] .

وجاء أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين

---

(١) سورة الحشر ، الآية رقم : ٩ .

(٢) انظر : الدين والحياة ، عدد رقم ١٩ ، ص ٦ ، وزارة الأوقاف ، مصر .

(٣) انظر : تفسير الإمام المراغي ، ج ٢٨ ص ٤٣ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٣٨ .

ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر : أبا دجانة سماك بن خرشة ، وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ، وقال لهم : « **إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة** » .

فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ، ولا نشاركهم فيها .

وقال رسول الله ﷺ للأنصار : « **إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم** » .

فقالوا : أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول الله ﷺ : « **أو غير ذلك ؟** » .

فقالوا : وما ذاك يارسول الله ؟

قال : « **هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر** » فقالوا : نعم يارسول الله (١) .

نعم : إن الإيمان الصادق إذا صادف قلوباً هيئت له ، تمكن فيها ، ونما وترعرع ، وأشرقت آثاره على من حولها ، وسعى أصحاب هذه القلوب المؤمنة فى بذل ما يرضى من حولهم من المؤمنين ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ من خيرة من تمسك بفضيلة الإيثار ، حرصاً على أخوة الإسلام ، والتوادد في ظلال الإيمان (٢) ، قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣) .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٣٨ ، وانظر الزمخشري ، الكشاف ج ٤ ص ٨٤ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٣٣٧ ، والحديث رواه البخاري .

(٣) سورة الفتح ، الآية رقم ٢٩ .

لقد كان من فضل الله – سبحانه وتعالى – على الأمة الإسلامية ، أن يسر لها طريق الوحدة الكاملة ، والرابطة القوية ، والتجمع الهائل ، بما أرسل لها من رسول رحيم ، وبما أعطاها من كتاب كريم ، وبما كلفها من عقيدة ، فكانت أخوة المسلمين فوق كل الحواجز الجنسية ، والعرقية ، والقومية ، والحزبية والسياسية .

هذه الأخوة ربطت بين المسلمين ، ووحدت صفوفهم ، وجعلتهم أمة واحدة ، لها شأنها واعتبارها ، وإن الباحث في وحدة الأمة الإسلامية يجد أن الإسلام أقام هذه الوحدة على أسس ثابتة ، ودعائم قوية ، وأصول لا تبلى .. وأهم هذه الأصول :

أولا : وحدة الأصل الإنساني :

فإن الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم ، وتمايز ألوانهم ، وتباعد أقطارهم ، إنما يرجعون إلى أب واحد ، وأصل واحد ، فأبوهم آدم ، وأمهم حواء .

ولطالما ذكر القرآن الكريم للمسلمين هذه الحقيقة ، وبيَّنها لهم في أساليب شتى ، وآيات متعددة ، لكي يضعوها دائماً في اعتبارهم ، ويرعوها حق رعايتها ، ومن ذلك أن يعيشوا متآخين متحدين ، وكأنهم أعضاء لجسد واحد ، أو لبنات في بناء واحد ، يشد بعضه بعضاً .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ١ .

فالله – سبحانه وتعالى – خلق الناس من نفس واحدة ، أي : من أصل واحد ، وَجَعْلُهُ – سبحانه وتعالى – إيَّاهُم صنوفاً مفرَّعة من أرومة واحدة ، من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [٢] .

فالله – سبحانه وتعالى – هو الذي أنشأكم من نفس واحدة ، هي : الإنسان الأول ، الذي تسلسل منه سائر الناس بالتوالد ، وهو آدم – عليه السلام – وفي إنشاء جميع البشر من نفس واحدة آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته ، وفي التذكير بذلك إيماء إلى ما يجب من شكر نعمته ، وإرشاد إلى ما يجب من التعرف والتعاون بين البشر ، وأن يكون هذا التفرق إلى شعوب وقبائل مدعاة إلى التآلف ، لا إلى التعادي والتقاتل ، وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس [٣] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [٤] فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها ، وإن اختلفت وظيفتها في الذكر والأنثى [٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٦] .

---

(١) القاسمي ، محاسن التأويل ، ج ٥ ، ص ١٠٩٤ ، بتصرف .
(٢) سورة الأنعام ، آية رقم ٩٨ .
(٣) مصطفى المراغي ، تفسير القرآن ، ج ٧ ، ص ٢٠١ .
(٤) سورة الأعراف ، آية رقم ١٨٩ .
(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٤١١ .
(٦) سورة الحجرات ، آية رقم ١٣ .

فهذه الآية العظيمة – كما ترى – : تقرر أصلا من أصول الإسلام ، وهو المساواة بين الناس ، وكان العالم قبل انبثاق نور الإسلام يموج في الظلم ويضطرب في الفساد ، وتسوده الهمجية ، والعصبية الجاهلية ، وتخيم عليه ضلالات العصور القديمة ، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد والتفاخر في الأنساب .

في هذه الظلمة الداكنة : ينبثق فجر الإسلام ، فتبدّد أنواره تلك الغيوم السوداء ، وتنزل هذه الآية الكريمة ، لتقرر مبدأً إنسانياً عظيماً ، وهو إعلان المساواة بين البشر ، كل البشر [١] .

فالناس جميعاً من أب واحد ، وأم واحدة ، وما جعلهم شعوباً وقبائل مختلفة إلا ليحصل بينهم التعارف والتعاون في مصالحهم المختلفة ، ولا فضل لواحد على آخر إلا بالتقوى ، والصلاح ، وكمال النفس [٢] .

وإذا كان هذا شأن القرآن الكريم في تأكيد هذه الحقيقة التي تقرر أن الناس جميعاً ، من أب واحد ، وأم واحدة ، فإن السنة النبوية جاءت كذلك مذكرة الناس بحقيقة رجوعهم إلى أب واحد ، وأصل واحد ، توضيحاً لتعاليم القرآن الكريم ، وتقريرا لمبادئه .

ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه خطب الناس بمنى [٣] في وسط أيام التشريق ، وهو على بعير ، فقال : « **أيها الناس : ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي**

---

(١) محمد محمود الصواف ، نظرات في سورة الحجرات ، ص ١٤٧ ، ط. مؤسسة الرسالة بيروت .

(٢) مصطفى المراغي ، تفسير القرآن ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .

(٣) هي : بلدة قريبة من مكة ، تبعد عنها بنحو ستة كيلومترات ، وهي إحدى مشاعر الحج ، وفيها مرمى الجمار ، ومذبح الهدي ، وبها مسجد الخيف . (محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٧٦٣) .

علي عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود ، إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب » [١] .

وعن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ، ولا إلى أنسابكم ، ولا إلى أجسامكم ، ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، وإنما أنتم بنو آدم ، وأحبكم إليه أتقاكم »** [٢] .

وإذا كان الخطاب في الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة عامّاً لكل الناس – كما نرى – فإن المسلمين هم أحق وأجدر باتباع هدي كتاب ربهم ، والاستمساك بتعاليم نبيهم .

ثانياً : وحدة العقيدة :

ومن الأصول الأساسية التي جاء بها الإسلام ، وتعد من أهم الركائز لوحدة المسلمين ، مهما اختلفت بهم الأقطار ، ومهما تباينت جنسياتهم ، وتمايزت ألوانهم : وحدة العقيدة ، فعقيدة المسلمين واحدة ، لا تختلف باختلاف جنس من الأجناس ، أو لون من الألوان ، أو مصر من الأمصار ... كلا بل هي واحدة دائماً عند كل المسلمين ، تقوم على الإيمان بالله ، وبرسوله ﷺ وبكل مافي القرآن الكريم ، وأن الإسلام هو الإسلام ، والقرآن هو القرآن [٣] . « وأساس العقيدة : هو الإيمان بوجود الله تعالى ، بل إن ذلك هو أساس الدين كله ؛ لأن الإيمان بالله

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ج ٥ ، ص ٤١١ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، ج ٤ ، ص ١٩٨٧ .

(٣) د. أحمد السايح ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص ١٣٤ ، العدد الثاني ، من السنة التاسعة ، الصادر في شهر رمضان ، سنة ١٣٩٦ هـ ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

يدفع الإنسان إلى التصديق بكل ما أخبر به ، وتنفيذ كل ما أرشد إليه من أمر ونهي » [١] .

وقد عبّر القرآن الكريم عن العقيدة : بالإيمان ، والعقيدة في الوضع الإسلامي هى الأصل [٢] ، وعناصر هذه العقيدة : مبثوثة في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، ومن أجمعها على سبيل التمثيل :

(١) قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَالْمَلَٰئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ والنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ والْيَتَامَى وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وفِي الرِّقَابِ وأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ والضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣] .

قال ابن كثير : اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة وقواعد عميمة ، وعقيدة مستقيمة [٤] .

والآية – كما ترى –: مشتملة على خمس عشرة خصلة ، وترجع إلى ثلاثة أقسام .

فالخمسة الأولى منها : تتعلق بالكمالات الإنسانية ، التي هى من قبيل صحة الاعتقاد ، وآخرها ، قوله : (وَالنَّبِيِّنَ) وافتتحها بالإيمان بالله واليوم الآخر ، لأنهما إشارة إلى المبدأ والمعاد .. .. والستة التي بعدها : تتعلق بالكمالات النفسية ، التي هي من قبيل حسن معاشرة

---

(١) د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص ١٦ .

(٢) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٦ ، بتصرف .

(٣) سورة البقرة ، آية رقم ١٧٧ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

العباد ، وأولها (وَآتَى الْمَالَ) ، وآخرها : (وَفِي الرِّقَابِ) .. .. والأربعة الأخيرة تتعلق بالكمالات الإنسانية ، التي هي من قبيل تهذيب النفس ، وأولها : (وَأَقَامَ الصَّلاةَ) ، وآخرها (وَحِينَ الْبَأْسِ) . ومن عمل بهذه الآية : فقد استكمل الإيمان ، ونال أقصى مراتب الإيقان » [1] .

(٢) وقال تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [2] .

والإيمان بالله ، هو : التصديق به ، وبصفاته ، وبأسمائه ، ورفض الأصنام وكل معبود سواه .

والإيمان بالملائكة ، هو : اعتقاد وجودهم ، وأنهم عباد الله ، ورفض معتقدات الجاهلية فيهم .

والإيمان بكتبه ، هو : التصديق بكل ما أنزل على الأنبياء الذين تضمن ذكرهم كتاب الله المنزل على محمد ﷺ أو ما أخبر هو به [3] .

إن هذه الآية الكريمة صورة للمؤمنين . وللجماعة المختارة ، التي تمثلت فيها حقيقة الإيمان فعلاً ، ولكل جماعة تتمثل فيها هذه الحقيقة الضخمة الهائلة ، ومن ثم كرمها الله – سبحانه وتعالي – وهو يجمعها في حقيقة الإيمان الرفيعة من الرسول ﷺ وهو تكريم تدرك حقيقته الجماعة المؤمنة ، لأنها تدرك حقيقة الرسول العظيمة ، وتعرف أي مرتقى

---

(١) الألوسي ، روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٥ .

(٣) ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ ، ط. وزارة الأوقاف ، بالمغرب ، سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

رفعها الله إليه عنده ، وهو يجمع بينها ، وبين الرسول ﷺ في صفة واحدة في آية واحدة ، من كلامه الجليل (١) : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ .. ﴾ (٢) إنه الإيمان الكامل الشامل ، الذي جاء به هذا الدين ، الإيمان الذي يليق بهذه الأمة الوارثة لدين الله ، القائمة على دعوته في الأرض إلى يوم القيامة ، السائرة في موكب الدعوة ، وموكب الرسول ، وموكب الإيمان الممتد في شعاب التاريخ البشري .. الإيمان الذي يتمثل البشرية كلها ، منذ نشأتها إلى نهايتها (٣) .

(٣) وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ الَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلَا بَعِيداً ﴾ (٤) .

قال ابن كثير : يأمر الله – تعالى – عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان ، وشعبه وأركانه ، ودعائمه ، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل ، وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه (٥) .

ومن أجمع ما ورد من حديث رسول الله ﷺ في عقيدة المسلمين ، ما جاء عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج** » (٦) .

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٨٥ .
(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، بتصرف .
(٤) سورة النساء ، آية رقم ١٣٦ .
(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٥٦٦ .
(٦) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الإيمان ، باب : دعاؤكم إيمانكم ، ج ١ ص ٤٩ .

وعن العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دِينًا وبمحمد رسولاً** » (١) . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة في عقيدة المسلمين ، وهي في حقيقتها مبينة لما جاء به القرآن الكريم ، وموضحة له .

وعقيدة المسلمين واحدة لدى كل المسلمين ، في شرق الأرض وغربها ، وشمالها ، وجنوبها ، تجتمع عليها قلوبهم ، وتحفظها عقولهم وتستيقنها نفوسهم .

ووحدة العقيدة جددت بين المسلمين ما مضى من قرابة الدم القائمة بينهم ، وإذا كانت أبوة آدم – عليه السلام – أبوة مادية ، تجمع بين الأمة الإسلامية ، وتوحد بينها في الأصل ، فإن العقيدة الإسلامية هى أبّوة روحية ترجع إليه فروع المؤمنين ، والحق أن المؤمن حينما يستشعر جلال هذا الأصل الروحي ، الذي يجمعه وإخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، إلى جانب الأصل المادي الذي يرجعه معهم إلي أبوة واحدة ، فإنه حينئذ يشعر أنه إنما يحيا بإخوانه ، ويحيا لهم كأنه غصن من أغصان شجرة عظيمة ، يحيا بحياتها ، ويموت بموتها .

وإن رابطة العقيدة في الإسلام أعلى وأقوى من رابطة الدم والنسب ، والمساكنة في الوطن ، والمشاركة في القومية .

وهذا الأساس : هو المنطلق الوحيد للخروج من قوقعة الأنانيات الفردية والقبلية والقومية ، إلى صعيد اللقاء الإنساني ، على أساس المبادىء ، المتينة الراسخة ، مبادىء الحق والعدل والخير ، وفي هذا الإطار

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من رضي بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، فهو مؤمن ج ١ ، ص ٦٢ .

التربوي النفسي ذاته ، عالج الإسلام النفس الإنسانية إعداداً لها لتحقيق التعارف والتعاون .

وانطلاقاً من مفاهيم العقيدة التي جاء بها الإسلام أعد الإسلام النفوس للتعارف والتعاون الإنساني ، ذلك أنه جعل العصبيات بأنواعها فسوقاً ، وخروجاً عن العقيدة ، وانحرافاً عن حياتها .

والعقيدة التي كانت أصلاً من أصول وحدة المسلمين مأخوذة من العقد ، والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء ، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة ، كعقد الحبل ، وعقد البناء ، وتوسع في العقد فاستعمل في المعاني كعقد البيع ، وعقد النكاح [١] ، كأنه ربط بين أجزاء ، ويقال : عاقدته ، عقدته ، وتعاقدنا ، وعقدت يمينه [٢] .

والعقيدة تعنى الارتباط بين القلب البشري وفكرة أو رأي أو منهج معين ، وإن هذا الارتباط يتميز بالوثاقة والقوة والإحكام ، كما يتسم بالثبات ، والاستمرار والاستقرار [٣] .

والعقيدة هي الأمر الذي تثق به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، ويكون يقينا عند صاحبه ولا يمازجه شك ، ولا يخالطه ريب . فالعقيدة مجموعة من قضايا الحق المسلَّم بها بالسمع والعقل والفطرة ، يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثني عليها صدره ، جازماً بصحتها ، قاطعاً بوجودها وثبوتها [٤] .

---

(١) انظر الفيومي (المصباح المنير) مادة عقد ، وانظر : الدكتور منصور رجب (نظام الإسلام) ص ٤٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الدكتور السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام منهج حياة ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٤) انظر الدكتورة آمنة محمد نصير ، مباحث في علوم العقيدة ، ص ١٠ ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٤ هـ .

ويذكر العقاد أننا نعنى بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعنى بها حاجة النفس ، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات ، ومن فرغ من العلم والمراجعة ، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره ، إنما نعني بها ما يملأ النفس ، لا ما يملأ الرؤوس ، أو يملأ الصفحات (١) .

إن العقيدة التي يصح أن توصف بالعقيدة الدينية هي التي لا يستغني عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها ، ولا يرفضها من اعتصم منها بمعتصم ، واستقر فيها على قرار (٢) .

وإذا كان القرآن الكريم لم يذكر كلمة « عقيدة » وذكر مادتها اللغوية ، فإن القرآن الكريم ذكر حقائق أساسية كبرى هى في مجموعها موضوع ما يسمى العقيدة أو العقائد .

وفي مجال العقيدة أو العقائد جاء القرآن الكريم بكلمة « الإيمان » وللقرآن الكريم طريقته الخاصة في عرض الحقائق وهى طريقة تصلح في آن واحد للخاصة من الناس والعامة منهم (٣) .

ثم إنه إذا كانت كلمة العقيدة تعنى الربط والتوثيق ، فإن كلمة الإيمان « تعني الربط والتوثيق مضافاً إليها ما يطمئن إليه القلب ، ويقتنع به اقتناعاً ذاتيّاً ونفسيّاً » .

وهذه الحقائق الأساسية عرضها القرآن على الناس ، وأيدها بالأدلة والشواهد ، ودعا إلى تصديقها والإيمان بها ، وكرر ذكرها بأساليب

---

(١) العقاد ، العقائد والمذاهب ، مجلد رقم ١١ ص ٤٠٢ ، ط . دار الكتاب اللبناني .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣١ .

(٣) محمد المبارك ، العقيدة في القرآن الكريم ، ص ٩ ، ١٠ دار الفكر ، بيروت .

شتى ، وطرق متعددة ، وهى التي تؤلف جو القرآن العام ، والأساس الذي تتفرع منه قواعده الخلقية ، وأحكامه التشريعية ، لا تنفصل عنه أبداً ، وهى القاعدة الفكرية التي أراد الله أن يقيم عليها بناء الإنسان وتكوينه [١] . ولقد دعا القرآن بإلحاح إلى الإيمان بهذه الحقائق الكبرى ، دعا إلى الإيمان بالله خالق الكون ، وبالحياة الآخرة ، التي تتجلى فيها مسئولية الإنسان ، ويتحدد مصيره الأبدي ، وبالنبوة والوحي طريقاً إلى معرفة الحقائق التي يريد الله أن يلقيها إلي الإنسان ، سواء أكان موضوعها عالم الغيب أم حقائق ما وراء المادة ، أم كان توجيه الإنسان وتنظيم شئونه في هذه الحياة [٢] .

ومما لا يخفى على الإنسان : أن هناك نوعاً آخر من الحقائق اشتمل عليها القرآن الكريم ، ووردت فيه على أنها طريق إلى الحقائق الأساسية – من الإيمان بالله والحياة الآخرة وبالنبوة والوحي – ووسيلة للوصول إليها ، ولكنها تتكرر في سور القرآن في صور وأشكال شتى مرافقة للحقائق الأساسية ؛ لتأييدها ودعمها ، ويشتمل هذا النوع على مشاهد الكون في القرآن الكريم بآفاقه الواسعة ، وأنواع مخلوقاته المختلفة ، وحوادثه المتبدلة ، وسننه المطهرة ، ويشتمل بوجه خاص علي حياة الإنسان في خلقه وتكوينه وميوله وغرائزه في أجياله المتعاقبة ، ومن عرف الحقائق الأساسية الكبرى والحقائق الأخرى التي جاءت شواهد على الحقائق الأساسية استطاع أن يخرج بفكرة شاملة عن :

– نظرة الإسلام إلى الوجود : وجود الخالق ، ووجود العالم المخلوق : الكون والإنسان .

---

(١) المرجع السابق ، بتصرف واختصار ، ص ٩ .

(٢) المرجع السابق ، بتصرف واختصار ، ص ١٠ .

- نظرة الإسلام إلى الصلة بين الله والكون ، وبين الله والإنسان ، وبين الكون والإنسان .

ويتكون من مجموع ذلك عقيدة كاملة ، ونظرة شاملة ، وهذه العقيدة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان ، ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة [١] .

فالتصور الإسلامي يقوم على أساس أن هناك ألوهية وعبودية : ألوهية ينفرد بها الله سبحانه ، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه ، وكما ينفرد الله سبحانه بالألوهية كذلك ينفرد - تبعاً لهذا - بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حي ، وكل شيء بعد ذلك في العبودية كذلك يتجرد كل حي ، وكل شيء من خصائص الألوهية ، فهناك - إذن - وجودان متميزان ، وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله ، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق ، والإله بالعبيد [٢] .

وإذا كان الأمر - كما عرفنا - فما مكان الإنسان من الكون كله ؟ وما مكانه من هذه السيارة الأرضية بين خلائقها الأحياء ؟

ما مكانه بين أبناء نوعه البشري ؟ وما مكانه بين كل جماعة من هذا النوع الواحد ، أو هذا النوع الذي يتألف من جملة أنواع يضمها عنوان « الإنسان » ؟ وهي أسئلة لا جواب لها في غير « عقيدة دينية » تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه ، وصفوة إيمانه بغيبها المجهول ، تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة : حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان [٣] .

---

(١) أرنولد : تاريخ الدعوة ص ٤٥٤ .
(٢) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ص ٨٣ ، ط. دار الشروق ١٤٠٠ هـ .
(٣) العقاد : الإسلاميات ، المجلد السابع ص ٣٦١ ، ط. دار الكتاب اللبناني .

وأنت تجد أن القرآن الكريم يخص من هذا الكون مخلوقاً هو الإنسان ، فيتحدث عنه مرات كثيرة ، بل يخصه بالمخاطبة ، لأنه هو المقصود ، ولكنه في الوقت نفسه يشعره بموقفه من هذا الكون .

فالإنسان أولاً : نوع من أنواع أخرى في هذا الكون ، يشترك معها في أمور ، ثم يتميز عنها ، فهو مخلوق من تراب في الأصل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ (٤) .

ويقول بهذه المناسبة « ألكسيس كاريل » في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » بعد أن بين المقابلة بين المواد الكيماوية التي يتركب منها الجسم البشري ، والتي يتكون منها التراب بمختلف أنواعه يقول : إن الإنسان مخلوق من تراب بالمعنى الحقيقي الحرفي لهذه الكلمة (٥) وقد جاء في الآية قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ (٦) .

والإنسان ثانياً : نوع من أنواع الحيوانات يدخل في تصنيفها ويشترك معها في أمور ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩ .
(٢) سورة الكهف ، الآية : ٣٧ .
(٣) سورة الحج ، الآية : ٥ .
(٤) سورة الروم ، الآية : ٢٠ .
(٥) ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، ص ٢٠٠ ، ط. مكتبة المعارف .
(٦) سورة نوح ، الآية : ١٧ .
(٧) سورة النور ، الآية : ٤٥ .

مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (٢) .

والإنسان ثالثاً : نوع متميز عن الحيوان كما يبدو من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ (٣) وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمي ، كما تشير الآيات أكثر من مرة إلى تسويته : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ (٤) ، ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ (٥) ، ﴿ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (٦) وإلى جعله : ﴿ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٧) وتميزه كذلك من جهة العقل والعلم الناميين بسبب الحواس كما تشير إلى ذلك الآية : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨) وكما تشير الآية الأخرى : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٩) وهو علم يستطيع أن يعبر عنه ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ (١٠) بل هو علم قابل دائماً للنمو والزيادة ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١) ، ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (١٢) .

---

(١) سورة السجدة ، الآية : ٨ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤ .
(٤) سورة السجدة ، الآية : ٩ .
(٥) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .
(٦) سورة الانفطار ، الآية : ٧ .
(٧) سورة التين ، الآية : ٤ .
(٨) سورة النحل ، الآية : ٧٨ .
(٩) سورة العلق ، الآية : ٥ .
(١٠) سورة الرحمن ، الآيتان : ٣ ، ٤ .
(١١) سورة طه ، الآية : ١١٤ .
(١٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

والإنسان رابعًا : يتميز بجانب روحي ، أشارت إليه آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ (٢) وهو الجانب الذي رفع مرتبة الإنسان وجعله في مقام من التكريم ؛ فأسجد الله له الملائكة ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٣) وعلى تنمية هذا العنصر من الإنسان بنى الحافظ والمحدث الحكيم الترمذي (٤) ، وغيره من علماء السلوك نظريتهم في ترقية الإنسان في مدارج الرقي الروحي نحو الله (٥) .

وفي القرآن بعد هذا آيات كثيرة ، في ذكر نفسية الإنسان وما يميل إليه من زينة الدنيا وشهواتها ، وما يضطرب فيها ، من مختلف المشاعر والعواطف وما فيه من الصراع الدائم الذي ابتدأ منذ قصة آدم ولا ينتهي إلا بانتهاء قصة الإنسان كلها على هذه الأرض ، وفيه آيات أخرى لتوجيه الإنسان في هذه الميول والمشاعر ، وفي ذلك الصراع المحتم (٦) .

حاجة الإنسان إلى العقيدة :

الاعتقاد شيء مركوز في النفس ، مستقر في قلب الإنسان ،

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .
(٢) سورة السجدة ، الآية : ٩ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .
(٤) من علماء السنة توفى سنة ٣٢٠ هـ ، وله مصنفات كثيرة منها الرياضة وأدب النفس . والحكيم الترمذي محمد بن علي هو غير الإمام الترمذي محمد بن عيسى صاحب « السنن » .
(٥) انظر محمد المبارك ، العقيدة في القرآن الكريم ، ص ١٩ بتصرف .
(٦) المصدر السابق ص ١٩ .

لا يستطيع إنسان أن ينكره ، فالنفس أو الفطرة خلقها الله تعالى وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق ، وأن الإنسان مهما ابتعد عن منهج الله فلن يستطيع أن يغير فطرته ، قال تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (٢) فعاطفة الاعتقاد أمر غريزي ومشترك بين الناس عامة في كل عصر ومكان ، فإنه لم تخل جماعة من الناس في أي زمان من عقيدة دينية على نحو ما . وإذا كان الدين والاعتقاد أمراً غريزيّاً وفطرياً في الإنسان في كل زمان ، فإن الإسلام هو الدين الحق الذي رضيه الله تعالى للناس جميعاً (٣) .

فالإنسان لا غنى له عن الدين ، لأنه يحسه في نفسه شعوراً ووجداناً ، ويشير إلى هذا الشعور والوجدان ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة** » (٤) وقول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الشمس ، الآيات : ٧ – ١٠ .

(٣) الدكتور محمد يوسف موسى : الإسلام والحياة ، ص ٧ ط. مكتبة وهبة ، القاهرة .

(٤) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ، ورواه الإمام أحمد في مسنده . ٢ ص ٢٥٣ ، وفي صحيح مسلم (قدر ٢٥) : « كل إنسان تلده أمه على الفطرة » .

(٥) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٧٢ ، ١٧٣ .

ففي هذه الآية يبين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم وبنيه ذريتهم ، نسلاً بعد نسل ، وجيلاً بعد جيل ، وذلك قبل خلقهم في الدنيا ، وأشهدهم على أنفسهم قائلاً لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فأجابوا ﴿ بَلَى شَهِدْنَا ﴾ بذلك . فالله – سبحانه وتعالى – أشهدهم على ربوبيته حتى لا يقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين [١] .

فطبيعة الإنسان فيها استعداد فطري لمعرفة الله ، وهذه النظرية متأصلة في الإنسان ، وموجودة منذ الأزل في أعماق روحه [٢] ، ومن هنا كان الاعتقاد أمراً لابد منه ، وإن الدين الحق رحمة الله للناس جميعاً على اختلاف عقولهم وقدرتهم على التفكير ، وإنه هدى ونور وإن العلم لا يغني عنه شيئاً [٣] فالاعتقاد أو الدين عنصر ضروري ، والإنسانية بحاجة إليه للكمال النفسي والروحي ، فالإنسان جسم وروح ، والجسم يتغذى بالطعام والشراب ، بينما تتغذي الروح بالإيمان والعقيدة ، وعلى ذلك فالإسلام منهج شامل لأمور الدنيا والآخرة ، محقق لمصالح الفرد والجماعة ، قوامه الشريعة ، والعقيدة ، والأخلاق ، فليس ديناً فقط ، ولكنه دين ونظام حياة ، لا تنفصل فيه العلاقة بين الله والإنسان عن الصلة بين الإنسان والإنسان ، وهو ينظمها جميعاً [٤] فالدين الإسلامي عقيدة شاملة لتنظيم الحياة وتفسيرها ، واستجابة لحاجات النفس الإنسانية ، ومشعل يضيء الطريق أمام الناس ، ويبلغ بهم غايات السعادة والاستقرار ، ووسيلة لتقدم العلاقات العامة والخاصة [٥] .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٢) الدكتور سامي عفيفي حجازي : العلاقة بين العقيدة والأخلاق والإسلام ، ص ٥٣ ، رسالة دكتوراه .

(٣) الدكتور محمد يوسف موسى : الإسلام والحياة ، ص ١٠ .

(٤) أنور الجندي : منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، ص ٣٩ ، ط. دار الاعتصام .

(٥) عبد الله أحمد العويشق : الأدب في خدمة الحياة والعقيدة ، ص ١٧ ، ط. كلية اللغة ، الرياض .

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية ، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة يحس بالاطمئنان ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيراً من المفكرين (١) ، والحقيقة التي أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث والخطوب والمحن ، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة ، والعقيدة المثلى للإنسان ، والمجتمع ، رعاية للروح والجسد ، وعمل للدنيا والآخرة ، وجهاد في السلم والحرب ، ودستور للحاكم والمحكوم وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم ، على خير ما يمكن أن يكون التنظيم .

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة ؛ ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وتطهر نفسه ، وللمجتمع ليستقر ويتماسك ، ويترفع وينهض ، **فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح . تحوله يميناً وشمالاً** فلا يسكن له حال ، ولا يستقر له قرار وليس له جذور تثبته ، والمجتمع بغير عقيدة مجتمع غابة (٢) ، وإن ظهرت له بوارق الحضارة . فهو مجتمع تعاسة وشقاء ، ليس له غايات وأهداف ، وأهله يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام .

وقد كانت العقيدة الإسلامية إيذاناً بمولد مجتمع يخالف المجتمعات التي جعلت أساس مجتمعاتها الجنس أو القبيلة أو السلالة أو الإقليم أو اللغة ، بخلاف الإسلام الذي جعل أساس مجتمعه العقيدة .

والعقيدة قوة لا تكافئها قوة في ضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه ، فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شئ لا يقع

---

(١) الدكتور أحمد السايح : العقاد فيلسوفاً ، ص ١٦٦ ، رسالة تخصص .

(٢) محمد أمين حسن : خصائص الدعوة الإسلامية ، ص ٢٥٧ ط. مكتبة المنار ، الأردن .

عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع في يده ولا عنقه ، ولا يجري في دمه ، ولا يسري في عضلاته وأعضائه ، وإنما هو معنى اسمه « العقيدة » ، ومن هنا كان الإنسان مقوداً أبداً بفكرة صحيحة أو فاسدة ، فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شيء وإن فسدت فسد كل شيء [١] .

أجل : إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره ، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات ، بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة ، تحترم فيها الحقوق ، وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل ، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون ، ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً للسلام والرخاء ، وعوضاً عن التربية والتهذيب الديني والخلقي ذلك أن العلم سلاح ذو حدين ، ويصلح للهدم والتدمير ، كما يصلح للبناء والتعمير ، ولا بد في حسن استخدامه من رقيب يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض ، لا إلى نشر الشر والفساد ، ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان [٢] .

فالعقيدة الإسلامية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملكاتها ومظاهرها ومن هنا تنبع حاجة البشر إلى الدين من طبيعة الإنسان نفسه ، فقد خلقه الله تعالى ، ومنحه طبيعة الكائن المتكيف ، وعلى ذلك فحاجة الإنسانية إلى الدين نزعة فطرية وأصيلة ركبت فيه ، وفطر عليها [٣] .

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين ، ص ٩٩ ، ط. دار القلم ١٤٠٠ هـ .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين ، ص ٩٩ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : الدكتور سامي عفيفي حجازي : العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام ، ص ٥٨ .

والعقيدة هى أساس قيام المجتمع ، وأساس صلاحه أو فساده بل هى أساس بقائه واستمراره لذا كانت حاجة الإنسانية إلى الإسلام عقيدة وسلوكاً ... [١]

ثالثاً : وحدة مصدر التشريع :

ووحدة مصدر التشريع أصل أصيل في وحدة المسلمين ، وذلك أن مصدر التشريع واحد لدى المسلمين ، وهو القرآن الكريم : كتاب الله الذي أنزله ليكون دستور الخالق في إصلاح الخلق ، ينظم الحياة ، ويعالج النفوس ، ويُقَوِّم اعوجاج المجتمع [٢] .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيمًا ﴾ [٣] .

ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً : طريقاً واضحاً ، قصداً ، قواماً لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف .

وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة ، وطريق السلام والاطمئنان والأمان في جميع الاعتقادات والعمليات ، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم ، المفضي إلى روضات الجنات [٤] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦١ باختصار وتصرف .
(٢) د. أحمد السايح : مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الثاني ، ص ١٣٦ .
(٣) سورة النساء ، الآيتان : ١٧٤ ، ١٧٥ .
(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] والمراد بالنور هنا – كما في تفسير المنار – ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه النبي ﷺ .

ثانيها : أنه الإسلام .

ثالثها : أنه القرآن الكريم .

والمراد بالكتاب المبين : القرآن الكريم ، ولولا عطفه على النور لما فسّروا النور إلا به ، فإن الأصل أن يكون المعطوف غير المعطوف عليه ، ولكن العطف قد يرد للتفسير [2] .

ولما كان العطف قد يرد للتفسير ، فإن صاحب تفسير المنار قال : وهو الذي أختاره هنا ، لتوافق هذه الآية وما بعدها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [3] .

هذا إلى جانب أنه بيّن مزية الكتاب المبين بضمير المفرد ، فقال : ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [4] ولم يقل بهما ، فكان هذا مرجحاً لكون المراد بهما واحداً ، وهو القرآن الكريم .

وثَمَّ شواهد أخر ، تؤيد ما اخترناه غير آيتي النساء ، في قوله تعالى – في المهتدين من أهل الكتاب – : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .
(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج ٦ ، ص ٢٥١ .
(٣) سورة النساء ، الآية رقم ١٧٤ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ١٦ .

وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢) .

وبعد هذا نجد أنفسنا أمام ما يستفاد من ذكر النور : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ .. ﴾ (٣) .

الفائدة الأولى :

أنه يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، أي : أن من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالإيمان بهذا النور يهديه – هداية دلالة تصحبها العناية والإعانة – الطرق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل ما يرديه ويشقيه ، فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعالى ، وحقوق نفسه الروحية والجسدية ، وحقوق الناس ، فيكون متمتعاً بالطيبات ، مجتنباً للخبائث ، تقيّاً مخلصاً ، صالحاً مصلحاً ، ويكون في الآخرة سعيداً منعَّماً ، جامعاً بين النعيم الحسي الجسدي ، والنعيم الروحي العقلي .

وخلاصة هذه الفائدة : أنه يتبع ديناً يجد فيه جميع الطرق الموصلة إلى ما تسلم به النفس من شقاء الدنيا والآخرة ، لأنه دين السلام ، والإخلاص لله ولعباده ، دين المساواة والعدل ، والإحسان والفضل .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

(٢) سورة التغابن الآية : ٨ ، وانظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج ٦ ، ص ٢٥٢ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٥ .

الفائدة الثانية :

الإخراج من ظلمات الوثنية ذات الخرافات والأوهام ، التي أفسد بها الرؤساء جميع الأديان ، واستعبدوا أهلها ، إلى نور التوحيد الخالص الذي يحرر صاحبه من رق رؤساء الدين والدنيا ، فيكون بين الخلق حرّاً كريماً ، وبين يدي الخالق وحده عبداً خاضعاً .

الفائدة الثالثة :

الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو الطريق المؤدي إلى القصد والغاية من الدين في أقرب وقت ، لأنه طريق لا عوج فيه ولا انحراف ، فيسلم سالكه ولا يضل في سيره ، وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح ، الذي أنزله الله تعالى لأجله ، كما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الخلاف والتأويل ، بأن تكون عقائده وآدابه وأحكامه مؤثرة في تزكية الأنفس وإصلاح القلوب ، وإحسان الأعمال ، وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة ، بحسب سنن الله فى خلق الإنسان (١) .

فأنت تدرك من كل ما عرضنا له : أن وحدة التشريع من أعظم العوامل على وحدة المسلمين واجتماعهم .

وأبو شريح الخزاعي ، يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « **أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ؟ . قالوا : بلى ..** ..

---

(١) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٦ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، بتصرف .

قال : « إن هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ، ولن تهلكوا بعده أبداً » (١) .

وعن أبي الأحوص ، عن عبد الله – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتّبعه** » (٢) .

وما دام القرآن الكريم على النحو الذي بينه لنا الله تعالى ، ورسوله الكريم من عمله الدائب على وحدة صفوف المسلمين ، واجتماع كلمتهم ، وتآلف قلوبهم ، وكونه أصلاً في ذلك ، فلا غرو أن يأمر الله المسلمين – إن وقع بينهم خلاف ، أو دب بينهم نزاع – أن يرجعوا إلى كتاب ربهم بإخلاص ، ففي ذلك رفع للخلاف ، وقطع للنزاع ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٣) .

وذلك بأن يعرض على كتاب الله – سبحانه وتعالى – وسنة رسوله ﷺ وما فيهما من القواعد العامة ، والسيرة المطردة ، فما كان موافقاً لهما علم أنه صالح لنا ، ووجب الأخذ به ، وما كان منافراً علم أنه غير صالح ، ووجب تركه ، وبذلك يزول التنازع ، وتجتمع الكلمة (٤) .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٢) رواه الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، ج ٢ ، ص ٤٣١ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٥ ، ص ١٤٨ .

رابعاً : العبادات الهادفة

الواقع أن أصول الوحدة الإسلامية لا تقف عند وحدة الأصل الإنساني ، ووحدة العقيدة ، ووحدة مصدر التشريع ، بل نجد من أصول الوحدة الإسلامية : العبادات الهادفة .

والأصل في العبادات : أنها تُؤدَّى امتثالا لأمر الله تعالى وأداء لحقه على عباده ، وشكراً لنعمائه التي لا تنكر .

وللعبادات ثمراتها الطيّبة التي تعود على المسلم قطعاً ، ولها حِكَمُهَا الجمة ، لكن ليس من اللازم ، ولا من الضروري أن يحيط الإنسان بثمراتها وفوائدها ، بل لا يستطيع ذلك ، كما لا يستطيع عقله المحدود أن يدرك حِكَمَها ، وحسبه أن يعلم أن الله تعالى إذا تعبد الإنسان بشيء ، فإنما يتعبده بما يصلح نفسه ، ويعود عليه بالخير في حياته الروحية والمادية ، والاجتماعية ، ولكن هذا لا يمنع الباحثين من التعرف على آثار العبادة فى العمل على وحده المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾(١) .

إن إقامة الصلاة هى رأس العبادات العملية ، وهى الصلة بين العبد والرب ، وهى : مطهرة للنفس ، مرضاة للرب ، مدعاة لتطهير الروح وتزكية النفس ، لذلك لا غرابة في جعل الصلاة خير ما يستعين به المسلم علي امتثال الأمر واجتناب النهي (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١٤ .
(٢) الشيخ حجازي ، التفسير الواضح ، ج ١٢ ، ص ٤١ ، ط. القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) فالصوم يُعَوِّدُ الإنسان على الخشية من ربه في السر والعلن ، ومن كملت لديه هذه الخلة لا يقدم على غش الناس بمخادعتهم ، ولا على أكل أموالهم بالباطل ، ولا على هدم ركن من أركان الدين ، كالزكاة ، ولا على اقتراف المنكرات ، الموجبة للسيئات ، وإذا ألمّ بشيء منها يكون سريع التذكر ، قريب الرجوع بالتوبة الصريحة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

والصوم يعوّد الشفقة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة ، فهو عندما يجوع يتذكر من لا يجد قوتاً من أولئك البائسين ، فيرق قلبه لهم ، ويشفق عليهم ، وفي ذلك تكافل الأمة ، وشعور بالأخوة الدينية (٣) .

فالعبادة في الإسلام لها شأن ، يبدو جليّاً واضحاً فيما يعكس من آثارها على حنايا النفس عمقاً وبعداً ، والأخذ بيد الإنسان إلى قصد السبيل ، وما أخذت العبادة امتدادها على هذا النحو ، في تأكيد الصلة بالله طاعة وقربى ، وتوثيقها بالنفس زكاة وطهراً ، وربطها بالمجتمع تواضعاً وبرّاً ، إلا كان صاحبها مشعل إشعاع ، ومركز خير ، وموئل عز ، وموطن حفظ .

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال النبي ﷺ : قال الله تعالى : « **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ، ولم يستطل على خلقي ، ولم يبت مصرّاً على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكري ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره**

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠١ .

(٣) مصطفى المراغي : تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص ٦٨ – ٧٠ ، بتصرف .

كنور الشمس ، أكلؤه بعزتي ، وأستحفظه ملائكتي ، أجعل له في الظلمة نوراً ، وفي الجهالة حلماً ، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة » (١) .

فالصلاة فرضها الله على المسلمين خمس مرات في اليوم والليلة ، وهى توحي بالوحدة بين المسلمين إيحاء لا ينقطع ، فقد جعل الله تعالى مواقيتها واحدة ، وركعاتها واحدة ، وهيئتها واحدة ، لا تختلف من بلد إلى بلد ، أو من جيل إلى جيل بل يتم الإعلام عنها في وقت واحد ، فيستجيب المؤمنون للنداء ، ويجتمعون خمس مرات كل يوم في المسجد ، يناجون رباً واحداً ، ويؤدون أعمالاً واحدةً ، ويتجهون إلى قبلة واحدة .

وأي وحدة أبلغ وأعمق من وحدة المصلين في الجماعة ، يصلون خلف رجل واحد ، هو الإمام ، ويناجون رباً واحداً ، هو الله ، ويتلون كتاباً واحداً ، هو القرآن ، ويتجهون إلى قبلة واحدة ، هى الكعبةُ البيتُ الحرام ، ويؤدون أعمالاً واحدة : من قيام وقعود ، وركوع وسجود ، وحدة نفذت إلى اللباب ، ولم تكتف بالقشور ، وحدة في النظرة والفكرة ، وحدة في الغاية والوجهة ، وحدة في المخبر والمظهر (٢) .

فالإسلام دعا أبناءه إلى الجماعة ، ليتعارفوا فلا يتناكروا ، ويتقاربوا فلا يتباعدوا ، ويتحابُّوا فلا يتباغضوا ، ويتصافحوا فلا يتشاحنوا (٣) .

وعلى هذا : فإن صلاة الجماعة في الإسلام – إلى جانب ما لها من قيمة فكرية – تشير إلى الأمل في تحقيق الوحدة الضرورية للبشر ،

---

(١) رواه البزار ، في الإتحافات السنية ، ص ٣٨ ، رقم الحديث ٣٤٤ ، ط : الثانية ، حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، سنة ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م .

(٢) د. يوسف القرضاوي : العبادة في الإسلام ، ص ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

لأنها حقيقة من حقائق الحياة ، ذلك بالقضاء على جميع الفوارق التي ميزت بين إنسان وآخر [١] .

وقد ضعّف الإسلام أجر الصلاة بضعاً وعشرين مرة أو يزيد ، عندما يقف الإنسان مع غيره بين يدي الله – سبحانه وتعالى – وهذا إغراء شديد بالانضواء إلى الجماعة ، ونبذ العزلة ، ودفع بالإنسان المسلم إلى الانسلاخ من وحدته ، والاندماج في أمته .. إن الإسلام يكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه ، وأن يستوحش في تفكيره وإحساسه وأن ينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وحياتها [٢] .

فلكل عمل من أعمال الإسلام ثمرة تطبيقية ، وقد شرع لنا الإسلام اجتماعات كل يوم ، واجتماعاً كل أسبوع ، واجتماعاً سنويّاً ، واجتماعاً مفروضاً في العمر مرة ، والحكمة واضحة ، هي : دوام التآلف ، واستمرار التعارف ، وتبادل المعلومات ، واستشعار معنى الأخوة ، والتزام الطاعة والنظام .

وحكمة مشروعية ما يترتب على الاجتماع لها من جمع الكلمة والتحابّ ، والتعاطف ، والتآلف ، والتعلّم ، وتعوّد الصبر ، والامتثال ، ولعل الشريعة أوجبت على الناس أن يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات ، وفضّلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ، ليحصل لهم هذا الأنس الطبعي الذي هو فيهم بالقوة ، حتى يخرج إلى الفعل ، ثم يتأكد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم ، وهذا الاجتماع في كل يوم ليس يتعذر على أهل كل محلة وسكة [٣] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) محمد الغزالي : خلق المسلم ، ص ٢٢١ ، ط. الأولى .

(٣) محمد حسن صديق خان : الدين الخالص ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ، بتصرف ، ط. الأولى .

« والدليل على أن غرض صاحب الشريعة ما ذكرناه أنه أوجب على أهل المدينة الاجتماع في كل أسبوع يوما بعينه ، في مسجد يسعهم ، ليجمع – أيضاً – شمل أهل المحال والسكك في كل أسبوع ، كما اجتمع أهل الدور والمنازل كل يوم ، ثم أوجب – أيضاً – أن يجتمع أهل المدينة مع أهل القرى المتقاربين في كل سنة مرتين في مصلى بارزين مصحرين ، ليسعهم المكان ويتجدد الأنس بين كافتهم ، وتشملهم المحبة الناظمة لهم [1] .

وأراد الإسلام من هذه الصلاة أن تكون مؤتمراً جامعاً ، ومهرجاناً كبيراً يجمع أهل البلد قاطبة في مكان واحد في الخلاء ، يذهب إليها الرجال والنساء ، حتى ذوات العذر منهن [2] .

عن أم عطية – رضي الله عنها – قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى : العواتق والحيّض ، وذوات الخدور ، فأما الحيّض فيعتزلن الصلاة ، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين .

قلت يارسول الله : إحدانا لا يكون لها جلباب ؟

قال : « **لتلبسها أختها من جلبابها** » [3] .

وفي الصيام : نلمح إيحاءه للوحدة بين المسلمين ، ظاهراً وقويّاً فحينما يطل شهر رمضان على المسلمين ، يوحد بينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، على اختلاف ألسنتهم ، يوحد بينهم في شعورهم وسرورهم ، ويوحد بينهم في استعادة ذكرياتهم المجيدة ، ويوحد بينهم في استعادة ليلهم

---

(١) السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) د. يوسف القرضاوي : العبادة في الإسلام ، ص ١٨٣ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري في عدة مواضع : كتاب الحيض ، باب شهود الحائض العيدين ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

ونهارهم ، وفي وقت طعامهم وشرابهم ، ويجعل فقراءهم وأغنياءهم ، وحكامهم ومحكوميهم ، ورجالهم ونساءهم في ذلك كله سواء [١] .

وفي الزكاة وأنواع الصدقات : نجد أنها روافد وبواعث للوحدة الإسلامية الشاملة .

فالإسلام قد أمر بإخراج الزكاة ، وسنَّ الصدقات للقادرين على ذلك ، رعاية للفقير والمسكين في المجتمع ، تبادلاً لمشاعر المحبة والألفة والمودة ، والعطف ، وتقوية للأمة في مجموعها .

ولا شك أن هذه المعاني كلها تعمل عملها ، في وحدة المسلمين وتأليف قلوبهم ، وتجميع شملهم ، وتجعلهم – كما أراد الإسلام – كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

والحج : من أظهر العبادات عملاً على وحدة المسلمين ، فمناسكه وشعائره كلها توقظ في المسلم مشاعر الأخوة النبيلة بين المسلمين ، حيث يتجرد المسلمون من صبغة الدنيا وألوانها ، ومظاهر طبقاتها وتفاوتها ، ويعودون بأنفسهم إلى وحدة المظهر ، يحاكون بها وحدة العقيدة والإيمان [٢] .

فالإسلام أوجب على المسلمين أن يجتمعوا في العمر كله مرة واحدة ، في الموضع المقدس بمكة ، ولم يُعَيِّنْ من العمر وقت مخصوص ، ليتسع لهم الزمان في الأنس والمحبة ، وشمول الخير ، والسعادة ، كحال المجتمعين في كل سنة ، وفي كل أسبوع ، وفي كل يوم ، فيجتمع بذلك الأنس الطبعي إلي الخيرات المشتركة ، وتتجدد بينهم محبة الشريعة ،

---

(١) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

وليكبروا الله على ما هداهم ، ويغتبطوا بالدين القويم القيم الذي ألفهم على تقوى الله وطاعته (١) .

خامساً : المبادىء والأخلاق :

الواقع أن الأخلاق السامية ، والمبادىء القويمة ، التي جاء بها الإسلام ، وأمر المسلمين أن يتخلقوا بها ، كلها تعمل – من قريب أو من بعيد – على وحدة المسلمين ، وتنمية مشاعر الأخوة بينهم .

ونحن نذكر من ذلك بعض الأخلاق والمبادىء الإسلامية التي هي ألصق ما تكون بوحدة المسلمين ، والتي تؤدي إلى ذلك أداءً مباشراً ومن ذلك :

(١) أن الإسلام قد أمر المسلمين بالتحابِّ ، والتزاور ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ ﴾ (٢) .

يصلون ما أمر الله من أرحامهم ، وقراباتهم ، وإخوانهم المؤمنين بالإحسان إليهم ، على حسب الطاقة ، ونصرتهم ، والذَّبِّ عنهم ، والشفقة عليهم ، والنصيحة لهم ، وكف الأذى عنهم (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

---

(١) محمد حسن صديق : الدين الخالص ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .
(٢) سورة الرعد ، الآيات : ١٩ – ٢١ .
(٣) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٩ ، ص ٣٦٧٣ .

وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)
بعضهم أولياء بعض : قلوبهم متحدة في التوادِّ والتحابِّ والتعاطف (٢) ، وولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض في هذه الآية نعم الولاية ، فهي ولاية النصرة ، وولاية الأخوة والمودة (٣) .

إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة ، طبيعة الوحدة ، وطبيعة التكافل ، وطبيعة التضامن ، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ، ودفع الشر ، وتحقيق الخير ودفع الشر : يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون ، من هنا : تقف الأمة المؤمنة صفّاً واحداً ، لا تدخل بينها عوامل الفرقة ، وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة ، فثمة – ولا بد – عنصر غريب عن طبيعتها ، وعن عقيدتها ، هو الذي يدخل بالفرقة ، ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها ، السمة التي يقررها العليم الخبير (٤) .

ولا يكون لهم هوى غير أمر الله ، وأمر رسوله ، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله ، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله ، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله ، وبذلك يوحدون نهجهم ، ويوحدون هدفهم ، ويوحدون طريقتهم ، فلا تتفرق بهم السبل ، عن الطريق الواحد الواصل المستقيم (٥) .

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : « **وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، وللمتجالسين فيّ ، وللمتزاورين فيّ ، وللمتباذلين فيّ** » (٦) .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٧١ .
(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٠٤٣ .
(٣) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ١٠ ، ص ٤٦٦ .
(٤) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٦٧٥ .
(٥) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ .
(٦) رواه مالك ، في الموطأ ، ص ٦٨٠ ، رقم الحديث ١٧٣٥ .

(٢) ومن ذلك : إصلاح ذات البين ، فهو الذي يرأب الصدع ، ويلم الشمل ، ويجمع المتفرقين ، ولذلك أمر به الإسلام في محيط الأسرة الصغيرة والكبيرة .

فمما جاء خاصاً بمحيط الأسرة الصغيرة ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحاً يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيرًا ﴾ (١) .

فإذا وقع الشقاق بين الزوجين ، أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ؛ لينظر في أمرهما ، ويمنع الظالم منهما من الظلم ، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما ، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة ، وثقة من قوم الرجل ؛ ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا مافيه مصلحة ، مما يريانه من التفريق أو التوفيق ، وتشوّف الشارع إلى التوفيق (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ... ﴾ (٣) .

فالصلح خير : لفظ عام مطلق ، يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ، ويزول به الخلاف ، خير على الإطلاق ، ويدخل في هذا المعني جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامرأته في مال أو وطء ، أو غير ذلك : خير من الفرقة (٤) .

= ورواه الحاكم في المستدرك ، ج ٤ ، ص ١٧٠ ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، بلفظ : « حقت محبتى » بدلاً من : « وجبت محبتي » .

(١) سورة النساء ، آية : ٣٥ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣) سورة النساء ، آية : ١٢٨ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ١٩٧٦ .

ومما جاء عامًا وشاملاً لوجوب الإصلاح بين الناس على العموم قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

فالإصلاح عام في الدماء والأموال والأعراض ، وفي كل شيء يقع التداعي فيه ، والاختلاف بين الناس ، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (٣) أي : اتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ، ولا تظالموا ، ولا تخاصموا ، ولا تشاجروا (٤) .

واتقوا الله في الاختلاف والتخاصم ، وكونوا متحدين ، متآخين في الله ، وأصلحوا أحوالكم ، حتى تكون أحوال ألفة ، ومحبة واتفاق (٥) . وهي الحال والصلة التي تربط بعضكم ببعض ، وهي رابطة الإسلام ، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون والمواساة وترك الأثرة والتفرق (٦) .

وقد أمر الله المسلمين في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين ، فهو

---

(١) سورة النساء ، آية : ١١٤ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ١٩٥٤ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ١ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥٥٠ .

(٥) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٨ ، ص ٢٩٤٨ .

(٦) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٩ ، ص ٤٨٩ .

واجب شرعاً تتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها ، وتحفظ به وحدتها [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [٢] .

فهذه الآية : قد أوجبت اجتماع المسلمين على بذل الجهد في سبيل الإصلاح بين الفريقين المتنازعين والمتقاتلين [٣] .

وهذه قاعدة تشريعية عملية ؛ لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك ، تحت النزوات والاندفاعات ، تأتي تعقيباً على تبيّن خبر الفاسق [٤] ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة ، قبل التثبت والاستيقان ، وسواء أكان نزول هذه الآية بسبب حادث معين - كما ذكرت الروايات - أم كان تشريعاً لتلافي مثل هذه الحالة ، فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية ، من التفكك والتفرق ، ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح [٥] .

وإذا كان هذا شأن القرآن الكريم في الدعوة إلى الإصلاح بين المسلمين ، حفاظاً على الوحدة الإسلامية ، فإن السنة النبوية جاءت كذلك ترغب الناس في إصلاح ذات البين ، وفي قبول الصلح ، وفي إقالة العثرات ، وقبول الاعتذارات .

---

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص ٥٤٢ .
(٢) سورة الحجرات ، آية : ٩ .
(٣) محمد عزة دروزة : الدستور القرآني ، ص ٦٨ ، ط. البابي الحلبي ، بمصر .
(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ سورة الحجرات ، آية : ٦ .
(٥) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٣٤٣ .

عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :
« ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ » قالوا : بلى . قال : « إصلاح ذات البين ؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة » (١) .

تحذير الإسلام من الفرقة وأسبابها :

بيّنا – فيما سبق –: أن الإسلام الحنيف قد جاء بالأصول والتعاليم الإيجابية ، التي تعمل على وحدة المسلمين ، وتجميع شملهم ، وتوحيد صفوفهم ، ليعيشوا أعزاء أقوياء ، وينشروا الإسلام في الأرض ، وهو في هذا السبيل – أيضاً – يحرّم التنازع والتفرق والاختلاف ، ويحذر من كل سبب يؤدي إليها ، ويبين العواقب الوخيمة التي تترتب عليها .

وقد جاء الإسلام بأساليب كثيرة ، نبين أهمها فيما يأتي :

(١) ينهى الإسلام نهياً صريحاً قاطعاً عن التنازع والتفرق ، بل وعن التشبه بالمتفرقين ، مبيناً أن الفشل الذريع لكل مناحي الحياة هو النتيجة الحتمية للمتنازعين المتفرقين .

قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ (٢) . أي : لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم ،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ج ٦ ، ص : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .
ورواه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب إصلاح ذات البين ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم ١٠٣ .

كما اختلف اليهود والنصارى ، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين ، يعادي بعضكم بعضاً ويحاربه ، أو : لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ، ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها ، مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم ، وهو : اتباع الحق ، والتمسك بالإسلام [١] .

فالإسلام ينهى عن التفرق والانقسام ، لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي تفيد العزة والقوة ، وبالعزة يعتز الحق ، فيعلو في العالمين ، وبالقوة يحفظ هو أهله من هجمات الواثبين ، المتربصين وكيد الكائدين [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣] .

ولا تنازعوا باختلاف الآراء ، أو فيما أمرتم به ، فتفشلوا ، وتجبنوا ، أو لا يتقوّ بعضكم ببعض [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [٥] .

فالله ينهى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم ، وتركهم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مع قيام الحجة عليهم [٦] .

---

(١) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٤ ، ص ٩١٥ .
(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، بتصرف .
(٣) سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .
(٤) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٨ ، ص ٣٠١١ .
(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٠٥ .
(٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] .

عن زيد بن أسلم ، قال : مر شاس بن قيس – وكان شيخاً قد عتا في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الضغن للمسلمين ، شديد الحسد لهم – على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من اجتماعم وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان منهم من العداوة في الجاهلية .

فقال : قد اجتمع ملأ بني قَيْلَةَ بهذه البلاد ، والله مالنا معهم ، إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار .

فأمر فتى شاباً من اليهود – وكان معه – فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ، وذكرهم يوم بعاث [2] ، وما كان قبله ، وأَنْشِدْهُمْ بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل .. فتكلم القوم عند ذلك .. فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الجثى على الركب : أوس بن قيظي

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) هو موضع بالقرب من المدينة المنورة ، اشتهر بالحرب التي نشبت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة ببضع سنين ، ذلك أن الأوس سعوا إلى محالفة قريش في حربهم مع الخزرج ، وهم الأكثر عددا ، فأرسلوا وفداً إلى مكة ، فلما علم رسول الله – ﷺ – بمقدمهم ، جاءهم وعرض عليهم الإسلام ، وبعد انصرافهم إلى المدينة ، جرت بينهم وبين الخزرج الحرب التي عرفت بيوم « بعاث » وفيها انتصر الأوس ، بعد أن انهزمت أول مرة ، « يوم بعاث » : هو آخر الحروب بين الأوس والخزرج .

• ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٥٥٥ .

• ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٥١ .

أحد بني حارثة ، من الأوس ، وجبار بن صخر أحد بنى سلمة ، من الخزرج ، فتقاتلا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم – والله – رددناها الآن جذعة .

وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة . فخرجوا إليها ، وتحاور الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها في الجاهلية . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : « **يامعشر المسلمين : الله . الله . أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟!** » (١) .

فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم .. فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً .

ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين ، مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله « شاس بن قيس » وما صنع (٢) .

وكذلك جاءت السنة المطهرة بهذا النهي الصريح عن التنازع والتفرق والاختلاف ، ومن ذلك قوله ﷺ : « **لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا** » (٣) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ﴾ سورة المنافقون ، آية ٨ ، ج ٨ ، ص ٦٥٢ .

(٢) الطبرى : جامع البيان في تفسير آي القرآن ، ج ٧ ، ص ٥٥ .

• السيوطي : الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

• ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلمين واليهود ، ج ٥ ، ص ٧٠ .

فالإسلام – كما ترى – حينما يبني الوحدة ويقويها : يناديهم مرة ، ويحذرهم من الجانب المقابل مرة أخرى ، الذي تفصم فيه عُرَا الوحدة ، ويذهبون فيه شيعاً وأحزاباً [١] .

(٢) ومن الأساليب التي جاء بها الإسلام لإبعاد المسلمين عن التنازع : أن بيّن في وضوح أن الشقاق والتنازع والتفرق والبعد عن الحق ، وأمثال هذه الصفات ، هي في الواقع صفات الظالمين والضالين ، والكافرين والمشركين ، وبالتالي فلا ينبغي ولا يجوز بحال من الأحوال أن تكون صفاتٍ للمؤمنين ، لأن مقتضى الإيمان هو اتباع الحق ، والاتحاد بين المسلمين والوحدة .

قال تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [٢] أي : إنك أيها الرسول ، إذا رأيت اليهود مجتمعين خِلْتَهم متفقين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف ، لما بينهم من إحن ، وعداوات ، فهم لا يتعاضدون ، ولا يتساندون ، ولا يرمون عن قوس واحدة [٣] .

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤] أي : خلاف للحق ، بعيدًا عن موافقته جدا ، بسبب ظلمهم وشركهم [٥] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٦] .

---

(١) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، ص ٥١١ .
د. محمد أمين المصري : سبيل الدعوة الإسلامية ، ص ١٧ ، ط. الثانية ، دار الأرقم بالكويت ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
(٢) سورة الحشر ، آية : ١٤ .
(٣) مصطفى المراغي : تفسير القرآن ، ج ٢٨ ، ص ٥٠ .
(٤) سورة الحج ، آية : ٥٣ .
(٥) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٥ ص ١٥٥٢ .
(٦) سورة الروم ، الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

وجاءت السنة المطهرة – أيضاً – مبينة لهذا الموضوع ، مؤكدة له ، ومما جاء في ذلك : قوله ﷺ : « **من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه** » (١) .

وقال ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » (٢) .

وهكذا تتضافر آيات القرآن الكريم ، وأحاديث السنة المطهرة ، على أن الشقاق والتفرق والتنازع وأمثالها ، إنما هي : صفات للكافرين والضالين ، فلا يجوز أن تكون صفات للمؤمنين بحال ، لأن مقتضى الإيمان الحق : هو الوحدة الجامعة .

فإذا حدث واتصف المسلمون بهذه الصفات ، فليعلموا أنهم قد حادوا عن طريق الإيمان ، وجانبوا تعاليم الإسلام ، وأن عليهم أن يسارعوا بالرجوع إلى مقتضيات إيمانهم ، وتعاليم دينهم .

(٣) ومن الأساليب التي اتخذها الإسلام في تحذير المؤمنين من التفرق ، بيان وعيد الله لمن انشق عن الجماعة المؤمنة ، وعمل على تمزق الأمة .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (٣) فمن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول

---

(١) رواه أحمد ، في مسنده ، ج ٥ ، ص ١٨٠ .
ورواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب قتل الخوارج ، ج ٥ ، ص ١١٨ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب العلم ، باب الإنصاف للعلماء ، ج ١ ص ١١٧ .

(٣) سورة النساء آية : ١١٥ .

ﷺ فصار في شق ، والشرع في شق ، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق ، وتبين له ، واتضح له [١] .

والآية : دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد ، كما أن مُشاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى مستحق للوعيد [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣] .

هذه الآيات الكريمات تحكي قصة في صورة مسجد ، اتخذها أعداء الإسلام في زمن الرسول ﷺ لينالوا بها من الإسلام وأهله ، وكان من أهم أهدافهم الخبيثة التي بنوا هذا المسجد من أجلها : التفريق بين المؤمنين ، لكي يفشلوا وتذهب ريحهم ، ولكن الله – عز وجل – أبطل كيدهم ، فخاب أملهم ، وطاش سهمهم ، وكان نصيب مؤسستهم هذه – التي اتخذوها في صورة مسجد مبالغة في التخفي الخبيث – أن أمر الرسول ﷺ بحرقها وهدمها .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٥٥٤ .

(٢) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٥ ، ص ١٥٥٢ .

(٣) سورة التوبة ، الآيات : ١٠٧ – ١١٠ .

ويذكر المفسرون : أن سبب نزول هذه الآيات : أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج ، يقال له : أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وقرأ علم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية ، وله شرف في الخزرج كبير .

فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة ، واجتمع عليه المسلمون ، وصار للإسلام كلمة عالية ، وأظهرهم الله يوم بدر ، شرق اللعين أبو عامر بريقه ، وبارز بالعداوة ، وظاهر بها ، وخرج فارّاً إلى كفار مكة ، يمالئهم على حرب النبي ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب ، وقدموا عام أحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم الله - عز وجل - وكانت العاقبة للمتقين .

وتقدم أبو عامر في أول مبارزة إلى قومه من الأنصار ، فخاطبهم ، واستمالهم إلى نصره وموافقته .

فلما عرفوا كلامه .. قالوا : لا أنعم بك عينا يافاسق ياعدو الله ، ونالوا منه ، وسبوه .

وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره ، وقرأ عليه من القرآن الكريم ، فأبى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله ﷺ : أن يموت بعيداً طريداً ، فنالته هذه الدعوة . وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ، ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ، ذهب إلى هرقل - ملك الروم - يستنصره على رسول الله ﷺ فوعده ، ومنّاه ، وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار ، من أهل النفاق والريب ، يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ، ويرده عما هو فيه . وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً ومرصداً ، إذا قدم عليهم بعد ذلك .

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه ، وفرغوا منه ، ورسول الله ﷺ يتجهز إلى تبوك ، فأتوه ، فقالوا : يارسول الله ، إنّا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنّا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، ولو قدمنا – إن شاء الله تعالى – أتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد .

فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ، ومعن بن عدي ، أو أخاه عاصماً ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد ، الظالم أهله ، فاهدماه وأحرقاه .. فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم . فقال مالك لمعن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي .

فدخل على أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان ، حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرقاه ، وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم ما نزل [١] .

وقد بيّن الله – تعالى – أن الأغراض التي بنوا المسجد لأجلها أربعة :–

(١) أنهم اتخذوه لمضارة المؤمنين ، ومحاولة إيقاع الضرر بهم .

(٢) أنهم اتخذوه كفراً ، وتقوية للكفر ، وتسهيلاً لأعماله ، من فعل وترك ، كتمكين المنافقين من ترك الصلاة هنالك ، مع خفاء ذلك على المؤمنين ، لعدم اجتماعهم في مسجد واحد ، والتشاور في الكيد لرسول الله ﷺ وغير ذلك .

---

(١) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٨ ص ٣٢٦٣ .

(٣) أنهم اتخذوه للتفريق بين المؤمنين الذين هم هنالك ، فإنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء ، وفي ذلك من مقاصد الإسلام الاجتماعية مافيه ، وهو التعارف ، والتآلف ، والتعاون ، وجمع الكلمة .

(٤) أنهم اتخذوه إرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، فهو للانتصار والترقب ، لمن حارب الله ورسوله أن يجيء محارباً ، فيجد مكاناً مرصداً له ، وقوماً راصدين ، مستعدين للحرب معه ، وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك (١) .

ولقد نبّه القرآن الكريم الرسول ﷺ وأمته من بعده ، إلى خطورة الفرقة ، وخطر المفرقين ، الذين فرقوا دينهم مِلَلاً ومذاهب ، فتمزقوا شيعاً وأحزاباً ، يضرب بعضهم رقاب بعض ، فضلوا عن سواء السبيل ، مما أفسدوا به دين الله – تعالى – ودنيا الناس . ويعد انفصالاً عن الدين وكفراً به ، الأمر الذي يبرأ منه الرسول الكريم محمد ﷺ وتبرأ عنه أمة التوحيد والوحدة ، حتى تلقى الله بوجه مشرق ، وصفحة نقية ، على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

ذكر الله – تعالى – هذه الأمة بما هي عرضة له ، بحسب سنن الاجتماع ، من إضاعة الدين ، بعد الاهتداء به ، بمثل ما أضاعه به من قبلهم ، وهو الاختلاف والتفرق فيه لمذهب من المذاهب ، وإمام من الأئمة ، فيضيع العلم ، وتنفصم عروة الوحدة ، وتصبح الأمة بعد أخوة الإيمان أمماً متعادية ، ليس لها مرجع متفق عليه ، يجمع كلمتها (٣) .

---

(١) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ١١ ، ص ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٥٩ .

(٣) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٨ ، ص ٢١٣ بتصرف .

وأنت ترى – من هذا الذي عرضنا له –: أن الإسلام جاء ليجمع القلب إلى القلب ، ويضم الصف إلى الصف ، مستهدفاً إقامة كيان موحد ، ومتقياً عوامل الفرقة والضعف ، وأسباب الفشل والهزيمة ، ليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية ، والمقاصد النبيلة ، والأهداف الصالحة من عبادة الله ، وإعلاء كلمته ، وإقامة الحق ، وفعل الخير [١] .

الأخوة الإيمانية :

لقد كان من مستلزمات إلغاء الفوارق العرقية ، والعنصرية ، والإقليمية ، والطبقية ، التي نادى بها الإسلام ، أن أعلن الأخوة الإيمانية ، بين جميع المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ .. .. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. .. ﴾ [٢] وبذلك غدا المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، من كل عرق ولون ولغة : أسرة إسلامية واحدة ، تربط ما بين أعضائها العقيدة الواحدة ، والتشريع الواحد ، والسلوك المتماثل [٣] .

ولا أحد يجهل قيمة الوحدة ، ودورها في النمو والتقدم والازدهار ، وكلنا نعرف الآثار السلبية للتمزق والتناحر الداخلي ، والصراع فيما بين الأمة الواحدة ، والشعب الواحد [٤] .

---

(١) سيد سابق : عناصر القوة في الإسلام ، ص ١٨١ .
(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٠ .
(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، ص ١٣٥ ، ط : دار المعرفة .
(٤) رسول الحبيب : نحن بشر أم بقر ؟! ، ص ٣٨ ، ط : دار الجيل ، ببيروت .

والوحدة الإسلامية كما تقوم على أسس وطيدة – عرضنا لها – فإنها كذلك تتكون من عناصر أصيلة :

أولها : وحدة الشعور بالأخوة العامة ، التي يشعر بها المسلم بأنه أخو المسلم ، قال رسول الله ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

وهذا العنصر قائم إلى حد كبير في الشعور [١] .

ثانيها : وحدة الثقافة ، بحيث يجمع المسلمين ثقافة دينية واجتماعية واحدة ، ليحمى الشعور بالأخوة .

وثالثها : التعاون التام بين المسلمين في الحرب والاقتصاد .

هذه العناصر تكوّن وحدة الأمة ، ولو تفرقت الأماكن [٢] .

والمجتمع الإسلامي مجتمع مترابط الأجزاء ، يعيش أفراده كالجسد الواحد ، ومن مظاهر الأخوة في الله : المساندة ، والمساعدة ، والتكافل ، والتواصل ، والتراحم ، والتناصح ، والتناصر ، والإجلال والإكرام ، وتفريج الكروب ، وستر العيوب ، ونبذ التحاسد ، والتباغض [٣] .

ومن منطلق الوحدة الإسلامية والأخوة في الله . كانت الأمة الإسلامية ، ولا زالت ، تملك رصيداً ضخماً ، يمكن استثماره لتحقيق

---

(١) محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، بتصرف .

(٢) السابق ، ص ٩٩ .

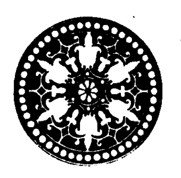
(٣) أحمد عز الدين البتانوني : الدعوة إلى الإسلام وأركانها ، ص ١٧٥ ، ط. دار السلام ، بالقاهرة ، سنة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م .

الإخاء الإسلامي العظيم ، والذي يجعلنا نحس بإخواننا المسلمين في كل مكان .

والذي يجعلنا أيضاً نعتز بالانتماء الإسلامي لكل بلد من بلاد المسلمين .

ولا شك أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والإخاء الإسلامي سمة من سمات المجتمع الإسلامي الأصيل الذي يخطو على مجد الأسلاف لينير الطريق ، ويضع العلامات المضيئة للسائرين .

* * *



خاتمـــة

وبجانب ما للأمة الإسلامية ، من مبادىء ، وأصول ، وقواعد ، وتعاليم ، تعمل على وحدة المجتمعات الإسلامية ، فإن هذه المجتمعات لها منطقة جغرافية ، تمتد من المحيط الباسفيكي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً . مجتازة جاليات ودولاً إسلامية ذوات طاقات بشرية ، واقتصادية ، وعقلية ، وحضارية لا حدود لها . ومنطقة المجتمعات الإسلامية تتميز بأنها :-

* تقع من العالم موقع الحزام من جسم الإنسان ، بعيدة عن القطبين ، وسالمة من الأعاصير ، والطوفانات ، والثلوج ، والبراكين ، ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية ، وتكاثر الحيوانات البرية .

* وأنها تمتلك من شواطىء البحار الكبيرة والصغيرة ، ما يمكنها من الإشراف على عدد كبير من أعظم موانىء العالم ، كما بها من الأنهار والمنابع ما يجعلها من أخصب المناطق ، وأكثرها ازدهاراً ونماءً ..

* وإن فيها من موارد الحضارة كالماء ، والنفط ، والمعادن ، والحاصلات الزراعية والحيوانية . ما يمكنها من إغناء الحضارة الإنسانية ، واستتباب الأمن ، وزيادة الزخاء .

وتلك أمور تجعل دول وشعوب الأمة الإسلامية قوة مرهوبة الجانب ، مخطوبة الود ، يتهيب العدو بأسها ، ويخشى سلطانها ..

ولكن هذا لا يتم إلا في ظل « وحدة دول وشعوب الأمة الإسلامية » .

وإذا كانت الدول الواعية تعمل على وحدة شعوبها اقتصاديّاً وسياسيّاً ، فإن الدول الإسلامية أولى الناس بالوحدة ، لأنها تملك الأصول الراسخة التي تقوم الوحدة على أساسها .

وإذا كانت مجموعة الدول الأوربية سعت لأن تكون لها وحدتها المتميزة ، اقتصاديّاً وسياسيّاً ونقديّاً . أفلا يجدر بدول الأمة الإسلامية ، أن تقيم وحدتها الاقتصادية ، والسياسية ، والفكرية ، بجانب ما لها من وحدة العقيدة ، والشريعة ، والعبادات ، والأخلاق والمبادىء .

إن قيام الوحدة الإسلامية بين دول وشعوب الأمة الإسلامية يجعل الأمة لا ترضى أن تكون مقودة بغير قيادة الإيمان ، ويجعل الأمة في « وحدتها الإسلامية العملية » لا تعترف بتسليم قيادة البشرية لأيدي جاهلية ، لا تعرف معنى الإصلاح ، ولا تفكر بالخير ..

وإذا كانت الشعوب والدول الإسلامية تتطلع إلى وحدة إسلامية – بعد أن ذاقت مرارة التمزق ، والتفرق ، وبعد أن عاش بعضها في تبعية قاتلة للشخصية ، وبعد أن قادتها أحزاب إلى الهاوية – فإن هذا التطلع من شعوب ودول الأمة الإسلامية يضع أمام العلماء والمصلحين مسئوليات كبيرة . تجعلهم يسهرون ليل نهار ؛ لوضع المبادىء ، والقواعد ، والأسس التي تتوافر لقيام « وحدة إسلامية » تجمع دول وشعوب الأمة الإسلامية في سياسة واحدة ، واقتصاد واحد ، يوفر للأمة ما يؤهلها للانطلاق نحو التطلع الواعي ..

وقد لا يكون المرء بعيداً عن الصواب إذا أدرك أن قيام العلماء والمصلحين بمسئولياتهم ، في ترتيب الأمور ، ووضع القواعد والمبادىء سوف يمكن قادة الدول والشعوب الإسلامية من العمل على قيام « الوحدة الإسلامية » السياسة والاقتصادية .

ولا شك أن هذا طريق يحتاج إلى جهود المخلصين ، من الحريصين على مصالح الأمة الإسلامية ، الذين يعملون على أن تكون الوحدة الإسلامية تطبيقاً عملياً ، وسلوكاً حياً ، ملموساً فى الحياة ..

وفي ختام بحثي أقدم لتحقيق « الوحدة بين المسلمين » المقترحات التالية :-

(١) أن يقوم العلماء ، ورجال الفكر ، بوضع القواعد الأساسية ، والمبادئ السليمة ، التي تمكن من قيام وحدة : سياسية ، واقتصادية ، لشعوب ودول الأمة الإسلامية .

(٢) أن تقوم مبادئ « الوحدة الإسلامية » المقترحة ، على أساس من المبادئ الإسلامية ، لتنسحب هذه المبادئ بصبغتها الإسلامية على الوحدة الإسلامية ، فتحدد كل مساراتها ، واتجاهاتها .

(٣) أن تتاح الفرصة لتهيئة المجتمعات الإسلامية ، نفسياً وفكرياً لهذه الوحدة . حتى يتوفر المناخ الملائم ، فتصبح الوحدة مطلباً عاماً تعمل الشعوب الإسلامية على تحقيقه .

(٤) يصاحب ذلك قيام الإعلام (صحافة ، إذاعة ، تليفزيون) وما جرى مجرى هذا .. في الإعداد لهذه الوحدة الإسلامية .

(٥) ألَّا تمس هذه الوحدة الإسلامية النظم القائمة في مجتمعات الأمة الإسلامية ، من (ملكية ، وجمهورية ، وسلطانية ، وأميرية) وغير ذلك ، من نظم قامت في المجتمعات الإسلامية .

(٦) أن يكون لهذه الوحدة (جامعة) أو مؤسسة أو ما شابه ذلك يلتقي تحت اسمها المسئولون عن مجتمعات الأمة الإسلامية ، في موسم

الحج من كل عام ، ليكون مشهد الحجاج : في منى ، وفي عرفات ، وحول البيت دافعاً لانطلاق وسعي المسئولين إلى ما فيه الصلاح ، والإصلاح وخير المجتمعات الإسلامية .

(٧) أن تكون هذه الوحدة « سياسية واقتصادية » لتحقق آمال الشعوب الإسلامية التي التقت في وحدتها العقدية والتشريعية ، والخلقية ، والفكرية ..

(٨) أن تقوم سوق إسلامية مشتركة ، على غرار السوق الأوربية ، خاصة أن عوامل قيام هذه السوق الإسلامية متوفرة ، وإمكاناتها متاحة ..

(٩) أن تكون هناك مؤسسات إسلامية مختلفة تنشأ هنا وهناك ، تعمل على التخطيط الدقيق ، لتحقيق التكامل بين المجتمعات الإسلامية .

(١٠) لابد من أن يكون هناك إخلاص كامل لهذه الوحدة الإسلامية التي تتخطى وتتجاوز الإقليمية ، والعنصرية ، والأحزاب السياسية ، والأواصر اللغوية ، والقومية ، والإخلاص عنصر أساسي وضروري ، وبدون إخلاص لن يتم شيء .

(١١) أن تبذل الجهود المخلصة لإزالة المعوقات التي تقف أمام وحدة المسلمين ، وتجعل خطوات الوحدة تتعثر .

(١٢) أن تكون هناك قرارات سياسية ممن يملكون القرار لتنطلق المؤسسات الإسلامية ، تعمل على ترسيخ مبادىء الوحدة الإسلامية ، وقيامها ..

وإن تحقيق مبادىء الإسلام ، تحقيقاً عمليّاً وسليماً سوف يفرز وحدة سلوكية ، وفكرية ، وعاطفية ، متماسكة متكاملة ، دونما تناقض أو انحراف .. ..

* * *



المصادر والمراجع

(١) أبو داود :

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي ، السنن ط . الحلبي ١٣٧١ هـ .

(٢) أبو زهرة :

الشيخ محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، من بحوث المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٣٩١ هـ .

(٣) ابن القيم :

زاد المعاد في هدى خير العباد ، ط . المطبعة العصرية ، ١٩٧٩ م .

(٤) ابن كثير :

البداية والنهاية ، ط . البابي الحلبي .

(٥) ابن كثير :

أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، ط. كتاب الشعب ، مصر .

(٦) ابن عطية :

أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط. إدارة المحاكم الشرعية بقطر ١٣٩٨ هـ .

(٧) ابن ماجه :

الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، السنن ، ط. الحلبي بمصر ١٩٥٣ م .

(٨) ابن منظور :

أبو الفضل محمد بن جلال الدين : لسان العرب ، ط. دار المعارف بمصر .

(٩) ابن هشام :

سيرة النبي ﷺ ط. كتاب التحرير بمصر .

(١٠) البخاري :

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
- صحيح البخاري ، ط. كتاب الشعب .
- والأدب المفرد ، ط. محب الدين ١٣٧٩ هـ .

(١١) بركة :

الدكتور عبد الفتاح بركة : الرسول خاتم النبيين ، ط. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(١٢) حجازي :

الدكتور سامي عفيفي حجازي : العلاقة بين العقيدة والأخلاق ، والإسلام ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر .

(١٣) حسن :

محمد أمين حسن : خصائص الدعوة الإسلامية ، ط. مكتبة المنار ، الأردن .

(١٤) الحكيم الترمذي :

أبو عبد الله محمد بن علي : نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، ط. دار الريان للتراث ، بمصر .

(١٥) الجندي :

أنور الجندي : منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، ط. دار الاعتصام .

(١٦) دراز :

الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين : بحوث ممهدة في تاريخ الأديان ، ط. دار القلم ، ١٤٠٠ هـ .

(١٧) دروزة :

محمد عزة دروزة : الدستور القرآني ، ط. دار الفكر العربي ، بيروت .

(١٨) دويدار :

أمين دويدار : صور من حياة الرسول ﷺ الطبعة الأولى ، القاهرة .

(١٩) سـابق :

الشيخ سيد سابق : عناصر القوة في الإسلام ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

(٢٠) السايح :

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح : هذا هو الإسلام ، ط. دار الثقافة بالدوحة ، ١٩٨٩ م .

(٢١) السايح :

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح : الهجرة انطلاقة وبناء ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٧٨ م .

(٢٢) السايح :

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح : فلسفة الحضارة الإسلامية ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٨٩ م .

(٢٣) شريدة :

عبد الله شريدة : جولة مع الرعيل الأول من أمة الإسلام ، ط. الدار السلفية ١٤٠٦ هـ القاهرة .

(٢٤) شلبي :

الدكتور أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامية ، الجزء الأول ، ط. النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٨٣ م .

(٢٥) شلتوت :

الشيخ محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، ط. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ١٩٥٩ م – الإسلام عقيدة وشريعة ، ط. دار الشروق ١٤٠٧ هـ .

(٢٦) الصالحي الشامي :

محمد الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٧٨ م .

(٢٧) الصواف :

الشيخ محمد محمد الصواف : نظرات في سورة الحجرات ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٢٨) الطويل :

الدكتور السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام منهج حياة ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٢ م .

(٢٩) عبد العظيم :

الدكتور علي عبد العظيم : إن الدين عند الله الإسلام ، ط. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ١٤٠٢ هـ .

(٣٠) العويشق :

عبد الله أحمد العويشق : الأدب في خدمة الحياة والعقيدة ، ط. كلية اللغة ، الرياض .

(٣١) غلوش :

الدكتور أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ، ط. دار الكتاب اللبناني بمصر ، ١٩٧٥ م .

(٣٢) قطب :

الشهيد سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ، ط. دار الشروق ، ١٤٠٠ هـ .

(٣٣) القرطبي :

الجامع لأحكام القرآن ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣٤) العقاد :

محمود عباس العقاد : العقائد والمذاهب ، المجلد رقم ٧ ، ١١ ، ط. دار الكتاب اللبناني بمصر ، ١٩٧٨ م .

(٣٥) قطب :

الشهيد سيد قطب : في ظلال القرآن ، ط. دار الشروق . بمصر .

(٣٦) كاريل :

الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ط. دار المعارف بمصر .

(٣٧) المبارك :

محمد المبارك : العقيدة في القرآن الكريم ، ط. دار الفكر ببيروت .

(٣٨) محمود :

الدكتور جمال الدين محمود : أصول المجتمع الإسلامي ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

(٣٩) مسلم :

أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، ط. دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

(٤٠) موسى :

الدكتور محمد يوسف : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ط. الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

(٤١) الميداني :

عبد الرحمن حبنكة الميداني : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، ط. دار المعرفة بمصر .

(٤٢) النجار :

د. / محمد مصطفى النجار : عرب الجزيرة بين الجاهلية والإسلام ، ط. دار الطباعة المحمدية ، ١٩٦٣ م مصر .

(٤٣) النسائي :

الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، ط. الحلبي بمصر ١٣٨٣ هـ .

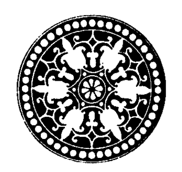
(٤٤) نصير :

الدكتورة آمنة محمد نصير : مباحث في علوم العقيدة ، ط. مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٤ هـ ، بمصر .

(٤٥) الأوقاف :

المكتب الفني : جوانب من حياة الرسول ، سلسلة مكتبة الإمام رقم ٥٢ ، ط. وزارة الأوقاف المصرية ، ربيع الأول ١٣٨٩ هـ .

* * *



فهرس الموضوعات

القسم الأول

القسم الثانى

* * *

رقم الإيداع

١٩٩٢ / ٩٥٤٩

I.S.B.N.

977 - 270 - 050 - 6

تجهيزات. أوفست

جهاد

٢٢ج شارع سنان ـ الزيتون ـ القاهرة .